الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة آكلي محند أولحاج
- البويـــــرة -

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tsdawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett -

كليـــة الآداب واللـغـــات
قسم اللغـة والأدب العـربـي
تخصص : لسانيات تطبيقية

Faculté des lettres et des langues

الاتّساق والانسجام في قصيدة البردة للبوصيري

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:

- كوثر جرابليـــة
- ليديـــا سعد اللـه

إشراف الدكتور:

عمر بورنـــــان

لجنة المناقشة:

د.قـــادة يعقـوب	رئيسا
د.عمـر بورنـان	مشرفا و مقررا
د.رشيد عـــزّي	مناقشا

السنة الجامعية 2018/2017

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين أمّا بعد:

فقد كانت الجملة تمثل الوحدة الكبرى في اللّسانيات في بداية الأمر، وهذا ما جعل الدّراسات فيها محدودة، إذ لا يمكن تجاوزها من أجل دراسة ما يحيط بها، الأمر الذي دعا اللّغويين لوضع حلول يمكن من خلالها أن يمرّوا من فكرة نحو الجملة إلى ما وراء الجملة، كونها غير كافية لدراسة المسائل اللّغوية، وبالتالي لا يستطيع الدّارس أن يصل الى ما هو وراءها وأكبر منها.

ثمّ جاءت اللّسانيات النصّية لتحل هذه المشكلة، ولتتخطى الجملة وتذهب إلى ما هو أكبر منها وهو النّص، فهي جزء منه.

ويمثل النّص أهم عنصر لغوي جامع للألفاظ، والمفردات، والعبارات، استطاع من خلاله الباحثون أن يصلوا إلى حلّ أهم المسائل المتعلقة باللغة، فكان بمثابة حقل تجارب يخضع لقيد من الدراسات من أجل الوصول إلى أفضل النّتائج. ومن خلال تلك الدراسات توصلت اللّسانيات النصّية إلى تحديد معايير خاصة بالنّصوص لتحليلها وتحديدها كنّص. ولعلّ من بين أهم تلك المعايير النصّية: "الاتساق والانسجام"، فالنّص بمكوناته القابلة للفهم والتفسير والتوضيح والتأويل، يطلق عليه صفة النصّية أي يحمل في طيّاته صفة الاتساق والانسجام. فهذان العنصران يمثلان أهم المظاهر التي تعتمد عليها اللّسانيات النصّية.

وعلى هذا الأساس قمنا بدراسة حول الاتّساق والانسجام في قصيدة البُردة للإمام البوصيري رحمه الله(696هـ)، لننظر في الوسائل التي وظّفها لربط أجزاء قصيدته بعضها ببعض، محاولين الإجابة عن الاسئلة التّالية:

-ما الذي جعل البُردة نصا متسقًا ومنسجمًا؟

- ما هي وسائل الاتّساق ووسائل الانسجام التي اعتمدها البوصيري في بردته لتحقيق ذلك؟

-أين تكمن مظاهرهما في القصيدة؟

وقد تناول عدّة باحثين موضوع (الاتّساق والانسجام) نذكر منها: (محمود بوستة، الاتّساق والانسجام في سورة الكهف)، (هناء دادة موسى، الاتّساق والانسجام ومظاهرهما في قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش)، (وفاء محمد علي الغرباني، التماسك النّصي في سورة النساء) وغيرها من البحوث، إلاّ أنّها أتت بالمألوف ولم تعتمد على ما هو جديد، أمّا الجديد في بحثنا هذا، هو تصنيف العلامات الإعرابية كوسيلة تعتمد عليها الإحالة التي تعبر عن الاتّساق، وبيان الكيفية التي تلعب به دورها لتحقيق ذلك.

ولم نجد في ما رجعنا إليه من أبحاث من تناول البردة بالدّراسة من هذه الجهة، لذا أنجزنا بحثنا هذا الموسوم بـ (الاتّساق و الانسجام في قصيدة البردة للبوصيري)، والذي قسّمناه إلى: (مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وملحق) وذلك على النّحو التّالي:

***الفصل الأول:** جاء بعنوان: **(مفاهيم وتعريفات)**، وقسّمناه إلى مبحثين المبحث الأول كان تحت عنوان (مفهوم الاتّساق ووسائله)، تناولنا فيه أهم المفاهيم الخاصّة بالاتّساق، وعرّفنا كل من الاحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتّساق المعجمي بأنواعهم. والمبحث الثاني بعنوان (مفهوم الانسجام ووسائله)، وجاء فيه مفاهيم عدّة حول الانسجام، ثم تعريفات لكل من السّياق، والبنية الكلية الكبرى، والتّغريض.

***الفصل الثاني:** أطلقنا عليه عنوان: **(دراسة تطبيقية للاتّساق والانسجام في قصيدة البُردة)** وسمّينا مبحثه الأول: (الاتّساق في قصيدة البُردة)، وضعنا فيه دراسة تحليلية حول وسائل الاتّساق ودورها في تماسك القصيدة، ومبحثه الثاني: (الانسجام في قصيدة البُردة)، وهو الآخر أدرجنا فيه دراسات تحليلية تخصّ وسائله.

ثم تناولنا خاتمة لخّصنا فيها أهم ما جاء في البحث، مع ذكر بعض الإحصاءات حول وسائل الاتّساق والانسجام ونسبة استعمالها في القصيدة.

ولعرضنا هذا البحث وجب أن نتبع منهجًا يليق به، وكان وصفيًا تحليليًا، فكنّا نصف وسائل الاتّساق والانسجام في القصيدة تارة، ونضع لها تحليلاً يخص الجانب التطبيقي تارة أخرى. وللقيام بالبحث كان لا بد من اعتمادنا على مصادر ومراجع، نوضّح من خلالها ما جاء فيه، وكانت من بين أهم تلك المراجع: الشيخ إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، أحمد عفيفي، نحو النّص، الأزهر الزّناد، نسيج النّص ـ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، وكتاب محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، دون أن ننسى المذكرة الخاصّة بأستاذي الفاضل "عمر بورنان" "وظائف علامات الإعراب" المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بالإضافة إلى كتب أخرى ومجلّات وأطروحات الدكتوراه... إلخ.

وكأي بحث يُنجز لابد من وجود صعوبات، وتمثلت في قلّة المصادر والمراجع وأحيانًا انعدامها. لكن سرعان ما زالت هذه الصعوبات لمّا كان أستاذنا يساندنا لإنجاز هذا البحث.

وفي الأخير أتقدّم بالشكر الجزيل لكل أستاذ علّمني حرفًا وعلى رأسهم أستاذي المشرف "عمر بورنان"، الذي كان نعم الأستاذ وكانت معلوماته وتوجيهاته لي بمثابة نقاط دعم لمواصلة بحثي هذا، وأشكر كل من دعّمني وساندني خلال مسيرتي الدراسية، فلكم منّي جزيل الشكر والعرفان.

كوثر جرابلية

ليديا سعد الله

البويـرة فـي2018/06/07.

الفصل الأول

مفـاهـيـــم وتـعـريـفـــات

المبحث الأول : مفهوم الاتّسـاق ووسائلـه

المبحث الثانـي : مفهوم الانسجام ووسائلـه

المبحث الأول مفهوم الاتّساق* ووسائله

إنّ اتّساق النّص وترابط أجزائه يسهم وبشكل كبير في تحقيق سهولة الفهم الجيد للموضوع، إذ يعتبر الترابط النّصي الوسيلة المتحكمة والمسهمة في بنية النّصوص، من خلال التلاحم والتماسك بين جمل وفقرات وأجزاء النّص. ولفهم كيفية تحقيق هذا الترابط، لابد من الاطّلاع على مفهومه، وأهم الأدوات والوسائل التي يعتمد عليها لاتّساق النّص.

1. **مفهوم الاتّساق:** جاء في تعريف لمحمد خطابي:" هو ذلك التّماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص" خطاب ما"، ويهتم فيه بالوسائل اللّغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته". [1] فالاتّساق يهتم بالجانب الشكلي للخطاب، ويتجسد من خلال تلك الأدوات والوسائل اللّغوية الشكلية لتكوّن نصّا.

ويعرفه أسامة بن منفذ فيقول:" وأمّا الاتّساق فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"[2]. معنى ذلك أن يكون للنّص أو الخطاب علاقة بين أجزائه، تدور حول موضوع معين.

إذ يعتبر التّرابط الموضوعي من أهم شروط الاتّساق، أي أن يعالج النّص قضية معينة أو موضوعًا محددًا[3]. ولا يختلف رأي كل من "براون" و"يول" حول هذه النقطة، إذ يقولان أنّ وحدة النّص المعنوية تحقق اتّساقه، ويضيفان أن قوة الربط تكمن في العلاقات المعنوية المضمنة، ولن

*نقصد بالاتّساق(cohésion)، والذّي تُرجم بعدّة مصطلحات منها: السبك، والتماسك، والتّرابط، وسنعتمد على استعمال مصطلح "الاتّساق" في بحثنا لأنه الأكثر استعمالا في الدّراسات.

[1]– محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافي العربي، بيروت، (د.ط)، (د.س) ص 05.

[2]– جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللّسانيات النّصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) 1998، ص 78.

[3]– ينظر: محمد داود محمد، لسانيات النّص ومعايير الخطاب الصحفي، دراسة تطبيقية على الصحافة الإماراتية، مجلّة العلوم الإنسانية، السودان، العدد1، 2017، ص50.

يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات المعنوية. [1] فالوحدة الموضوعية هي التي تربط تلك العلاقات، أمّا الانتقال من فكرة إلى أخرى دون ارتباطهما معنويا يؤدي إلى إخلال في توازن النّص، وتذبذب أفكاره مما يفسد اتّساقه.

وهذا ما تحدّث عنه محمد خطابي فهو يرى أنّ الاتّساق: "وحدة دلالية يعتمد فيها على الجمل لتحقيق ذلك"[2]. فهو وحدة دلالية يبحث في العلاقات النّحوية بين الكلمات المعجمية التي تحمل دلالة، والمستوى، الدلالي، المعجمي، والنحوي يمثلون القاعدة الأساسية التي يتحقق بها الاتّساق، فإذا تم استعمال الجانب المعجمي مع الجانب النحوي بشكل متناسق ومتناغم تولد بذلك متتالية من الجمل تربطها علاقة دلالية.

وبما أن الاتّساق مرتبط بالجانب الشكلي للنّص "فهو في علم اللغة الحديث يُعنى بالرّبط اللّفظي". [3] أي يربط بين العناصر اللفظية المكونة للنّص، الظاهرة على سطحه فهو يتصل بذات النّص وظاهره، ونقصد بظاهر النّص" الأحداث اللّغوية التي ننطق بها أو نسمعها" [4] فيحصل الاتّساق نتيجة التماسك بين المفردات والجمل المكونة للنّص، والتي تأتي على شكل منتظم ومتجانس، بحيث يمكن أن يفهم العنصر الثاني من خلال الرجوع إلى العنصر الأول.

ويعتبر أحمد عفيفي من الذين أبدوا رأيهم حول مسألة الاتّساق فعرّفه بقوله:" إنّه معيار يهتم بظاهر النّص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللّفظي، وهو يترتب على

---

[1]– ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، (د.ط)، (د.س)، ص83/82.

[2]– نفسه، ص83.

[3]– بن الدّين بخولة، الإسهامات النّصية في التراث العربي، أطروحة دكتوراه في علوم اللّسانيات النّصية، معجميات، كلية الآداب واللّغات، جامعة وهران1، 2016/2015، ص68.

[4]– سعد مصلوح نحو أجرومية للنّص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، دار المنظومة مصر، (د.ط)، 1991، ص54.

إجراءات تبدو لنا العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السّابق منها إلى اللّاحق."[1] فيشير أحمد عفيفي إلى وجود وسائل لغوية يعتمد عليها الاتّساق في النّص فتمثّل مناط اهتمام، وتحقق الترابط بين عناصره الواحدة تلو الأخرى. ولقد قمنا بحصر أهم تلك الوسائل في العنصر الثاني.

2. **وسائل الاتّساق:**

الاتّساق هو نظام لغوي دلالي، يتحقق عن طريق نظام معجمي. " فلكي تكون لأي نص نصّية، ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللّغوية التي تخلق النّصية بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة".[2] فتلك العلاقات المعنوية الدلالية في النّص تربطها الوسائل اللّغوية الظاهرية، تعمل على اتّساق النّص وتماسكه.

1.2. **الإحالة:** تعتبر الإحالة من أهم الوسائل التي تحقق الاتّساق، فهي ظاهرة لغوية تعتمد على قواعد، وتتميّز بخصائص، "وتطلق تسمية عناصر الإحالة على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء الخطاب، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر" [3]. أي كل العناصر الإحالية تحمل علاقات فيما بينها تكون قائمة على مبدأ التماثل والتطابق، أي أن تحمل العناصر المحيلة الخصائص الدلالية نفسها للعناصر المحال إليها. والإحالة تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معنى الأدوات التي تحيل داخل النّص، فتلك الكلمات لا تحمل معنى

---

[1]– أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (ط1)، 2001، ص14.

[2]– محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، ص 86.

[3]– الأزهر الزّناد، نسيج النّص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، (ط1)، 1993، ص 118.

في ذاتها"[1] فالمعنى والمفهوم يكمن في ارتباط تلك العناصر فهي تمثل علاقات داخل النّص وخارجه.

ويقول سعيد حسين بحيري أنّ الإحالة لها عدة تعريفات كونها ظاهرة لغوية منفردة، تتميّز بمجال بحثي واسع، تتعلّق بتعبير لغوي آخر في النّص[2].

كما تشير إلى عملية استرجاع المعنى فيحدث ذلك التماسك عبر استمراريته. فهنا تتبيّن أهمية الإحالة في كونها تسمح بالحفاظ على استمرارية المعنى، وبالتّالي استمرارية الكلام، لذلك كانت المظهر الأول الذي يربط عناصر النّص والتي "تضمن استمرار وحدته الموضوعية في ضوء ترابط جمله وتعلّقها بعضها ببعض".[3] فكل لفظ أو عنصر لاحق يعتمد على ما قبله أو ما سبقه.

وأشار ميرفي Murphy للإحالة إذ يقول:" هي تركيب لغوي يشير إلى جزء ما ذكر صراحة أو ضمنا في النّص الذي يتبعه أو الذي يليه." [4] وهذا التعريف لا يختلف عما قبله، فالإحالة بشكل عام هي ظاهرة لغوية معنوية تربط ألفاظا وعناصر معيّنة من خلال المعنى، وتترك ما يدلّ على تلك العناصر.

والإحالة أنواع:

تنقسم الاحالة إلى نوعين رئيسيين:

---

[1]– ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النّص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب القاهرة، (ط2)، 2009، ص119.

[2]– ينظر: حسين سعيد بحيري، علم لغة النّص نحو آفاق جديدة، مكتبة زهراء الشرق، (ط1)، 2007، ص211.

[3]– نعمان بوقره، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، عمان، (ط1)، 2009، ص81.

[4]– مشري آمال، الإحالة وأثرها في دلالة النّص وتماسكه (عيون البصائر) نموذجا، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 36، ص71.

2.1.1. **الإحالة المقامية:**" أي الإحالة إلى السّياق الخارجي، وفيها يحيل عنصر في النّص إلى شيء خارج النّص." [1] أي تتعلق بما يحيط النّص، سواء كان الكاتب أو المتلقي، أو شيء آخر يكون خارج النّص.

2.1.2. **الإحالة النّصية:**" وهي إحالة العناصر اللّغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة."[2] وهي عكس المقامية، تعمل عملها داخل النّص فهي تحيل إلى مضمون النّص وداخله. أمّا بالنّسبة لمكانتها فهي أهم من المقامية، وفي هذا يذهب هاليداي ورقية حسن للتكلم عن دورهما فيقولان:" أنّ الإحالة المقامية تسهم في خلق النّص، كونها تربط اللّغة بسياق المقام، إلا أنّها لا تسهم في اتّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النّصية بدور فعال في اتّساق النّص وبشكل مباشر"[3].

فالعناصر التي تحيل داخل النّص هي التي تسهم في ترابطه وهي الأكثر شيوعا، إذ نجدها بكثرة على عكس المقامية.

وتنقسم الإحالة النّصية بدورها إلى قسمين:

- **إحالة قبلية:** حيث يتم استخدام الضمائر المحيلة، قبل التغيير المشار إليه، إذ لابد من القارئ أن يرجع إلى ما قبل عنصر الإحالة ليوضح ما كان مبهما.
- **إحالة بعدية:** تعني استخدام الضمائر المحيلة بعد التغيير المشار إليه وهي عكس القبلية[4].

---

[1]– عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النّصية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2012.

[2]– الأزهر الزّناد، نسيج النّص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، ص 118.

[3]– محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 17.

[4]– ينظر: عزة شبل محمد، علم اللغة النّصي، النظرية والتطبيق، ص 123.

وتنقسم الإحالة إلى قسمين آخرين وهما:

- **إحالة ذات مدى قريب:** وتجري في مستوى الجملة الواحدة حيث لا توجد فواصل تركيبية كبيرة.
- **إحالة ذات مدى بعيد:** وهي تجري بين الجمل المتّصلة أو المتباعدة في فضاء النّص[1]. يعني يمكن أن تعمل الإحالة على المدى القريب أو البعيد، إذ تحيل إحالة قريبة عندما لا تفصل العديد من الألفاظ بين العناصر المحيلة، ويمكن أيضا أن تحيل إحالة بعدية حين يكون بين عنصر الإحالة والذي أحيل عليه فقرة أو عدّة عبارات، كأن يكون الأول في بداية النّص والآخر في آخره. وهناك نوع آخر من أنواع الإحالة يسمى:" بالإحالة لغير مذكور" [2]، فالكاتب يريد بهذا النّوع أن يذكر أحد العناصر المحيلة دون أن يذكر العنصر المحال عليه، مع تركه دليلا يبين ذلك العنصر ويوضّحه. ولمّا كانت الإحالة مجموعة من العناصر، احتاجت عند تأويلها إلى مراجع أهمها: الضمائر، أسماء الإشارة، أدوات المقارنة،[3] وهناك عنصر آخر يعمل عمل الإحالة وهو "العلامات الإعرابية" إلاّ أنّ الباحثين أغفلوا هذا الجانب.

- **1.2.1الضمائر:** تعتبر الضمائر أهم ما تعتمد عليه الإحالة، فهي تخدم الإحالة بأنواعها وهي ألفاظ لغوية تدل على شخص أو اسم ما طلبا للاختصار و منعا للتكرار، وتنقسم إلى وجودية مثل: أنا، أنت، هو...الخ، والى ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابه...الخ، وتختلف ضمائر الغيبية عن الملكية في كون الأولى تعمل عمل الإحالة النّصية، أي تحيل إلى ما هو داخل النّص، أما الملكية تعمل لما هو خارج النّص، كاستعمال الضمير "أنا" للدّلالة على الكاتب[4] فلكل منها دوره الخاص.

---

[1]– عمر بورنان، وظائف علامات الإعراب، أطروحة دكتوراه في علوم اللغة والأدب العربي، لغوي، كلية الآداب واللّغات، جامعة تيزي وزو، 2014، ص 133.

[2]– ينظر، نفسه.

[3]– أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، ص 82.

[4]– محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 18.

- **1.2.2أسماء الإشارة:** وهي ثاني أدوات الإحالة، إذ أنّ أسماء الإشارة بمختلف أنواعها ظرفية أو زمانية تحدد موضع الأشخاص في الزّمان والمكان داخل المقام الإشاري.[1] وتعمل عمل الضمائر، ولا يفهم معناها إلا إذا تعرفنا على العنصر الذي أشارت إليه، فهي إشارات حسية تدل على شيء معين مثال ذلك: "هذا الرجل أبي"، فأشرنا إلى الأب عن طريق أداة الإشارة "هذا" وهي إحالة بعدية، فأدوات الإحالة الإشارية تقوم بالربط النّصي عندما تُستخدم في الإحالات البعدية والقبلية ومن هنا فإنها تساعد على إيجاد الترابط النّصي [2]فكل ما يتعلق بالإحالة يسهم في اتّساق النّص.

- **1.2.3المقارنة:** تستعمل أدوات المقارنة على شخصين مثلا لهما نفس الصفة أو الدّلالة على وجود اختلاف بينهما،" فهي ألفاظ تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابقة كما أو كيفا أو مقارنة."[3]. وللتّوضيح وضعنا مخططا يبين لنا أنواع المقارنة التي ذكرت في التعريف[4]:

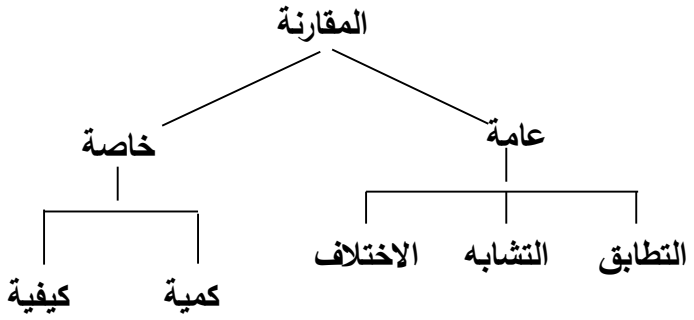

- **1.2.4العلامات الإعرابية:** تعمل العلامات الإعرابية على تحقيق الإحالة النّصية بنوعيها ولتوضيح ذلك أخذنا بضعة أمثلة منها: يقول الله عزّو جّل: " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

---

[1]– الأزهر الزناد، نسيج النّص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، ص 117، 118.

[2]– أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص، كلية دار العلوم، القاهرة، (د.ط)، (د.س)، ص 28.

[3]– نفسه، ص 29.

[4]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 19.

وَعَشِيرَتُكُمْ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ." (التوبة 24).

نلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ المفردات: "آبَاؤُكُمْ، أَبْنَاؤُكُمْ، إِخْوَانُكُمْ، أَزْوَاجُكُمْ، عَشِيرَتُكُمْ" كلّها جاءت مرفوعة لأنّ بعضها معطوف على بعض، ثم جاءت لفظة " أَحَبَّ" منصوبة، ولو رجعنا إلى بادئ الجملة لوجدنا أنّ السّبب في النّصب راجع إلى الفعل الماضي النّاقص "كان" فالنّصب في كلمة (أَحَبَّ) يُحيل إلى (كان). فهذا النّوع من الإحالة ساعد على ترابط وتماسك أجزاء الآية مما أنتج الاتّساق.

ونأخذ مثالا آخرا لندعّم به هذا النّوع من أنواع الإحالة، حيث قال الله تعالى في سورة المائدة: "يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُم وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ" (المائدة 06).

جاء في الآية لفظة "أَرْجُلَكُمْ" تحيل إلى "اِغْسِلُوا"، لأنّ ما جاء قبل لفظة أرجلكم يدّل على أنها لا تحيل عليه لأنّ المسح لا يخصّ الأرجل في الوضوء بل وجب غسلها، والنّصب في الكلمة وضّح لنا ذلك.

يقول الله عزّ وجلّ أيضا:" إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12) إِنَّهُ هوَ يُبْدِئُ ويُعِيدُ(13) وهوَ الغَفُورُ الوَدُودُ(14) ذُو العَرْشِ المَجِيدُ(15)". (سورة البروج). في هذا المثال احتمالين إمّا "المَجِيدُ" تعود على "العَرْشِ", أو على "ذُو". والذّي يفصل في هذا الشأن هو العلامة الإعرابية، فالضمّة في آخر "المَجِيدُ" تدّل على إحالتها على "ذو" وهي صفة لله عزّ وجل مثلها مثل الغفورُ والودود.

من خلال الأمثلة التي تناولناها يتضح لنا أنّ العلامة الإعرابية أحد أهم وسائل الإحالة، التي تزيد من توفر الاتّساق.

1.2. **الاستبدال:** يعد الاستبدال أحد المعايير الجوهرية التي يستعين بها الاتّساق " فهو إحلال تعبير لغوي محل آخر معين" [1] أي تعويض كلام بكلام آخر، ويسمى التّعبير الأول المستبدَل منه والآخر المستبدَل به [2].

وفي تعريف آخر لنعمان بوقره يقول:" هو صورة من صور التماسك النّصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي، بين كلمات أو عبارات، وهي عملية تتم داخل النّص، إنّه تعويض عنصر في النّص بعنصر آخر."[3].

فشأنه شأن الإحالة يتم داخل النّص باستعمال عنصر بديل أو خلاف العنصر الأول مما يفيد الاستمرارية وطلب المواصلة في الكلام. إلاّ أنّه يختلف عنها من حيث المستويات، فالأول يتم على المستوى النحوي المعجمي أي بين المفردات، والثانية تتم على المستوى الدلالي، ويمثّل أحد أهم مصادر الاتّساق النّصي، كونه يربط العلاقات الموجودة بين عنصر وآخر.[4] ويعرف بأنّه يقع فقط داخل النّص فهو أخصّ من الإحالة، أمّا الأخيرة فتقع داخل النّص و خارجه.

" فالاستبدال وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدّلالة، حيث ينبغي أن يدّل كلا الشكلين اللّغويين على الشيء غير اللّغوي في نفسه"[5] فيشترط الاستبدال عنصرين مشتركين في البنية وأن يكونا متطابقين سواء في المعنى أو الدّلالة، أو، أو الجمع، أو التثنية...الخ.

---

[1]– زتسيسلاف وأوزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، تر: سعيد بحيري، المختار للنشر والتوزيع، (ط1)، 2003، ص61.

[2]– ينظر: نفسه.

[3]– ينظر: نعمان بوقره، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص، ص 83.

[4]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 19.

[5]– أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، ص 124.

وتظهر أهمية الاستبدال من خلال ما ذكرناه سابقا في التّنويع بين العبارات والألفاظ، الذي يضمن تنّوع الأسلوب واختصاره، ومنه الاستمرارية في الكلام التي تساعد على اتّساق النّص.

والاستبدال أنواع: [1]

1. **الاستبدال الاسمي:** وهو تعويض الاسم بغيره وتعبر عنه الكلمات (واحد، نفس، ذات).
2. **الاستبدال الفعلي:** ويعبر عنه بالفعل البديل (فعل).
3. **الاستبدال القولي:** لا يكون استبدالا لكلمة داخل الجملة، ولكن الجملة بأكملها، أي تعويض جملة كاملة.

إلاّ أنّ الباحثين يرون بأنّ الاستبدال مجاله محدود من حيث العبارات والأساليب، فهو يقتصر فقط على الفعل (فعل) في الاستبدال الفعلي، ويذكر فقط كلمات نمطية من (آخر، آخرون) في الاستبدال الاسمي. أمّا بالنسبة للجمل والعبارات فلا يعوضها سوى (ذلك)، لذلك فهو محدود على عكس الإحالة التي تتمتع بالاتّساع.[2] وهذا الرأي غير متداول كثيرا، وبالرّغم من ذلك يبقى الاستبدال محافظا على مكانته في تحقيق الاتّساق. ويشير محمد خطابي إلى أنّنا من المستحيل أن نفهم المستبدَل به دون الرّجوع إلى اللّفظة التي استبدلناها قبليا، وهذا ما يسميه الباحثان رقية حسن وهاليداي الاستبدال. [3] ويمكن القول أنّ الاستبدال يربط بين المستبدلات فتجمعهم علاقة نحوية إحالية تخدم الترابط النّصي، من خلال ذلك التنويع لمنع التكرار الممل الذي يفسد من جمالية النّص. وهذا ما يجعله أحد المناهج الأساسية، كونه يعمل عمل الإحالة، أي داخل النّص وهذا ما يطلبه الاتّساق.

---

[1]– ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النّص النظرية والتطبيق، ص 114، 115.

[2]– ينظر: د. صالح عبد العظيم الشاعر، ظاهرة الاستبدال في النحو العربي، آفاق غير محدودة، مقالات متعلقة، 2016.

[3]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 20.

3.3 الحذف: يتميز الحذف عن غيره من الوسائل الأخرى، ويعد ظاهرة لغوية، نال اهتمام النحاة والبلاغيين لاختلافه فيعرفه الجرجاني بقوله:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة". [1] فيصف الجرجاني الحذف وصفا دقيقا ويتعجب أيضا لكفاية المعنى واكتماله رغم استعماله، وتكمن جاذبيته في دقّة عمله، فتلك العملية التي نحذف بها أحد العناصر المكونة لجملة ما وتبقى تتمتع بالدلالة، تلك نقطة كافية لأن يكون الحذف من أولى الظواهر اللّغوية التي تجذب المتلقي و يميل إليها الكاتب. " وقد يُحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقاليه تومئ إليه وتدل عليه." [2] وهذا يعتبر من شروط الحذف، إذ لابدّ من وجود دليل مقالي يدل على المحذوف لوضوح المعنى، فالكاتب أو المتكلم لا يحذف كلاما إلاّ إذا ترك ما يدّل عليه وما يغني عنه في النّص." فهو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذّهن، أو أن يوسع وأن يعدل بواسطة العبارات الناقصة". [3] وهنا يكمن دور المتلقي في تأويل الكلام فيجب أن يكون متفطنا للمحذوفات، ويركب الكلام مما تبقى من العناصر المذكورة فالمتكلم يحذف ويترك دليلا ليكتشفه القارئ.

ويوصف الحذف بأنّه انحراف عن التعبير وتتمثل أهميته في جعل المتلقي يفكر فيما هو مقصود، فهو علاقة تتم داخل النّص فالعنصر المحذوف موجود في النّص السابق فهي علاقة

---

[1]– عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، 2003، ص 178.

[2]– أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، ص 125.

[3]– جميل عبد المجيد حسين، علم النّص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية، عالم الفكر، العدد 2، 2003، ص146.

قبلية[1] فمثله مثل الإحالة والاستبدال فكل ما يحتوي العلاقة القبلية داخل النص يكون في خدمة الاتّساق.

إلاّ أنّ الحذف ينفرد في ميزة عن الاستبدال، إذ أنّ الاستبدال يتضمن تعويض عنصر لغوي في النّص بعنصر آخر، بينما الحذف لا يحل محل المحذوف أي شيء [2].

ونستنتج من خلال ما ذكرناه آنفا، أنّ للحذف أهمية يكمن دورها من خلال الجمل المحذوفة التي بدورها تقوم على أساس الربط بين أجزاء النّص من خلال المحتوى الدلالي.[3] فذلك المعنى والدلالة التي يتركها الحذف وراءه بين العبارات والجمل، هو ما يولد ذلك الترابط والتلاحم بين أجزاء النّص، جرّاء ارتباط المعاني فيما بينها.

والحذف أنواع مثله مثل الاستبدال وتتمثل أنواعه في:

- **الحذف الاسمي:** أي حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: قال الله تعالى "اللهُ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ" (فاطر1)، فحذف الاسم "فَاطِرُ" في العبارة الثانية تفاديا للتكرار و الدّليل علي ذلك وجود لفظة "فاطر" في الآية، و هو دليل مقالي.
- **الحذف الفعلي:** أي حذف فعل داخل المركب الفعلي مثل ما في قوله تعالى:" مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا" (النحل 30) تقدير الكلام: "أنزل خيرا"، والدّليل مقالي.
- **الحذف داخل شبه الجملة مثل:** كم ثمنه؟ خمس جنيهات، تقدير الكلام: ثمنه خمس جنيهات.[4]

إنَّ الحذف يتميز عن باقي الوسائل اللّغوية كونه لا يترك أثرا ولا يُفهم إلاّ بالمعنى، وتلك الدلالة التي ترتبط به هي التي تضفي طابع الجاذبية، "والحذف مثل الإجازة وسرعة الإحالة ووجوده

---

[1]– ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص، ص 106.

[2]– ينظر: عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.

[3]– ينظر: أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص 125.

[4]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل الى انسجام الخطاب، ص 22.

بدرجات مختلفة يتلاءم كل منها مع النّص والموقف" [1]. وكلّ ما حُذف وتمّ اكتشافه من قبل المتلقي، ساعد على تكوّن الاتّساق.

4.2. **الوصل:** الوصل هو ربط الجمل والعبارات بعضها ببعض، تتحقّق به خاصية الاستمرار اللّفظي عن طريق انتظام الأحداث والمكونات على سطح النّص. [2] فتأتي أحداث النّص متسلسلة ومرتبة ومنتظمة بفعل روابط تجمع بين تلك العبارات، بحيث تكون بعض الجمل متفق مع بعض ممّا يولد علاقات بينها، فالرّبط يشير إلى تلك العلاقات الموجودة بين المساحات والأشياء في النّص[3]. والرّوابط هي عبارة عن أدوات تربط عنصر سابق بآخر لاحق بواسطة عنصر دال كالعطف، والاستدراك، والإضراب والتعليل، والشرط، والظرف.... [4]، فكل الجمل التي تحمل المعنى نفسه ترتبط بفعل تلك الأدوات، فكل ما رُبط له علاقة دلالية تظهر على مستوى النّص يقول الله تعالى:" لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(03) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدْ(04)" (الإخلاص). فتمّ الوصل بين الآيتين بحرف العطف "الواو" لأنّهما يحملان المعنى نفسه والدلالة التي تمثل وحدانية الله تعالى لكن السؤال: هل الوصل يشبه عناصر الاتّساق الأخرى سابقة الذكر؟ الجواب: لا، لأنه لا يحوي علاقة إحالية، ويعبر عن معان معيّنة تفترض وجود مكونات أخرى في الخطاب [5]

فعمله يتمثّل في ربط عنصر بآخر دون الحاجة للبحث عن العلاقة الإحالية، أو الدّلالية، مكوّنا بذلك متواليات من الجمل، ما يجعله وسيلة أساسية في اتّساق النّص فهو يمثل مصدر تقوية

---

[1]– روبيرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، (ط1)، 1998، ص345.

[2]– ينظر: عائشة علي صلاح إبراهيم، مفاهيم مشابهة لعلم اللغة النّصي عند العرب، مجلة جامعة سيبها (العلوم الإنسانية)، العدد 02، 2015، ص 177.

[3]– ينظر: دي بوجراند، المرجع السّابق، ص346.

[4]– ينظر: عزة شبل محمد، علم اللغة النّصي، ص 110.

[5]– ينظر: عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.

العلاقات بين الجمل، وجعلها مترابطة متماسكة [1] مشكلة نصّا موحدا في ذاته. والوصل كغيره من الوسائل فهو أنواع[2] :

- **مطلق الجمع:** يربط بين صورتين أو أكثر باستعمال الأداة (واو).
- **التخيير:** يربط بين صورتين متماثلتين من حيث المحتوى باستعمال الأداة (أو).
- **الاستدراك:** ويضمّ صورتين من صور المعلومات بينهما علاقة تعارض باستعمال الأدوات (بل، لكن).
- **التفريع:** وهو علاقة بين صورتين بينهما حالة تدرّج باستعمال الأدوات (لأن، ما دام).

ولو لاحظنا أنواع الوصل، لوجدناها في كل مرة تعمل على ربط وضمّ صورتين متماثلتين أو أكثر، ومنه تولد علاقات بين جمل النّص، مكونة بذلك معاني مختلفة حسب اختلاف النّوع، ويمكن القول بأنّ الوصل يتمثل عمله في الربط بين المعنى والمعنى برابط معين يهدف إلى تحقيق غاية الاتّساق، يحرص فيها لأداء فكرته بوضوح لتصل إلى القارئ كاملة المعنى.

5.2. الاتساق المعجمي:

وهو صورة أخرى للتّعبير عن الاتّساق "وهو وسيلة لفظية من وسائل الاتّساق التي تقع بين مفردات النّص، وعلى مستوى البنية السطحية، تعمل على الالتحام بين أجزائه معجميا والبعيدة فيه، إذ يؤدي ذلك إلى تلازم الأحداث وتعلقها من بداية النّص حتى آخره مما يحقق للنّص نصيته."[3] إذ يتمحور عمله على المستوى المعجمي الظّاهري للنّص، ويتمتع بعلاقة مستقلة، أي لا يحيل على سابق أو لاحق.

---

[1]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 24.

[2]– ينظر: عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.

[3]– د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، أثر التكرار في التماسك النّصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات د.خالد المنيف، العدد 08 ، ماي 2012، ص1.

وفيه يقول خطابي، لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض والعنصر المفترَض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين العناصر في النّص.[1] أي لا يشبه الاتّساق المعجمي الوسائل الأخرى، فالوحدات المعجمية التي تتمثل في مجموعة الألفاظ والمفردات والأدوات اللّغوية المخزنة في ذهن الكاتب، تتميز عن غيرها في تحقيق تماسك النّص من خلال سياقها، أي حسب موقعها في النّص[2]، فيظهر معناها من مكان وجودها داخل النّص ومن ثم بيان وظيفتها الاتّساقية.

يعتمد الاتساق المعجمي في عمله على وسيلتين أساسيتين هما:

1.5.2. **التكرار**: وهو من الأساليب اللّغوية الأكثر شيوعا، يستعمله الكاتب للتوكيد على الكلام ويقصد به الإعادة المباشرة للكلمات أو التعبيرات.[3] فهو إعادة اللّفظة نفسها أو العبارة.

وقالت عنه نازك الملائكة بأنّه:" إلحاح على جهة مهمة في العبارة، يعتني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال."[4] فالقارئ يلحظ إعادة وتكرار اللّفظ نفسه فيفهم أنّ الكاتب يريد أن يركّز على ما هو مكرر، ففيه يكمن المعنى والأهمية وأنّ الكاتب يلفت الانتباه به، وهذا النّوع من الوسائل يفيد الاستمرارية في الكلام من جهة، والمبالغة من جهة أخرى، وهذه الإفادة تساعد المتلقي على ترسيخ الفكرة في الذّهن من خلال وضوح المعاني المتجلية في الألفاظ المكرّرة. يقول الله تعالى في سورة الرّعد:" أُولَئِكَ الذِّينَ كَفَرُوا بِرَّبِهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونْ"(الرعد 05)، فتكررت لفظة (أُولَئِكَ) ثلاث مرّات ليبيّن الله حالهم في كل مرّة إذا عصوا خالقهم، فاللّفظة

---

(1)– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 24.

(2)– ينظر: مونيا بلخيري، الاتساق المعجمي في معلقة امرئ القيس، علوم اللّسان، كلية الآداب واللغات، 2015/2014، ص16.

(3)– ينظر: عائشة علي صلاح إبراهيم، مفاهيم مشابهة لعلم اللغة النّصي عند العرب، ص 174.

(4)– نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط8)، 1989، ص276.

الثانية والثالثة هي نفسها الأولى وتدّل عليها. فعند تكرار لفظتين أو أكثر، يكون المرجع فيهما واحدا[1] وكل ما هو مكرر ينتهي إلى حقل دلالي معين، ومصدر واحد.

أمّا إبراهيم الفقي فقد وضّح أهمية التكرار لمّا وضع له تعريفا فقال:" هو إعادة لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة وذلك باللّفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها، تحقيق التماسك النّصي بين عناصر النّص المتباعدة."[2] فتقريبه للكلمات المتباعدة" يزيد من شدّ النّص وتماسكه وتلك الكلمات المتكررة تجعل من النّص أن يتمتع بكثافة عالية، وهذا ما يؤدي إلى تسهيل فهم الكلام.[3] فالتكرار يستعمل ليحسن اللّغة والتعبير، ويشير إلى كلام ذي قيمة وأهمية، وكلما يصادف المتلقي تكرارا للفظ ما فهم وتفطن إلى ضرورة فهم الغاية من ذلك.

أمّا الوسيلة الثانية التي يعتمد عليها الاتّساق المعجمي فهي:

2.5.2. التّضام: التّضام مثله مثل التكرار يحدث بين المفردات أي يتّم على المستوى المعجمي "وهو توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"[4] يقصد بالفعل أو بالقوة، تلك العلاقة التي تتحكم بالمفردات والتي تجعل الألفاظ مرتبطة ومجتمعة بحكمها وهذه العلاقات الموجودة داخل النّص تكوّن مجموعة من الجمل المتتالية المشكّلة له، ما يجعله يتميز بالتشابك والصلابة مثال ذلك، "لكل بداية نهاية"، فهذين اللّفظين لا يحملان المعنى نفسه ومختلفان تماما، إلاّ أنّهما يسهمان في الاتّساق من خلال ذلك الاختلاف، فجمعت بينهما علاقة التضاد، فلكل منهما معنى خاص إلا أنّهما اجتمعا تحت حكم تلك العلاقة. ويقول محمد خطابي في هذا الصدد، أنّ القارئ لا يتأثر بفعل هذه الاختلافات إذا كان يتمتع بحدس لغوي وعارفا

---

[1]– ينظر: بن الدّين بخولة، الإسهامات النصية في التراث العربي، ص68.

[2]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، (ج2)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)، 2000، ص20.

[3]–ع/ ينظر: د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، أثر التكرار في التماسك النّصي، ص25.24.

[4]– محمد داود محمد، لسانيات النّص ومعايير الخطاب الصحفي، ص82.

بمعاني الكلمات وغير ذلك.[1] فالمتلقي لا تزعجه تلك الأضداد، بل يفهمها من جانبها الايجابي وأنّ ذلك التمايز هو الذّي أضفى صفة الاتّساق والترابط النّصي. وهذه العلاقة تسمى أيضا بالمطابقة، وقد عرّفها الخطيب القزويني بأنها الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، أو فعلين.[2] ففي هذا التعريف يبدأ القزويني كلامه بالجمع، وهذا ما أشرنا إليه سابقا. ومن هنا تتبين أهمية التضام" باعتباره ظاهرة شكلية كبرى تصور أسلوب تآلف الكلمات في اللّغة ثم استخدام صورة التآلف في إعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي."[3] فالكلمات المرتبطة فيما بينها تعطي معاني للنّص، وبالتالي سهولة فهم الموضوع.

هذه أهم وأشهر الوسائل التي يستعملها الاتّساق في النّص، فهي وسائل تجمع بين المستويات الثلاثة الدلالي، المعجمي، والنحوي، مكونة بذلك مظهرا متّسقا وبنية شكلية متماسكة.

---

[1]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.

[2]–ع/ ينظر: عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب.

[3]–ع/ هاشمي بن ساسي، ظاهرة التضام في القرآن الكريم، دراسة لسانية حديثة وبلاغي" سورة يوسف" (نموذجا)، دراسات لغوية، لسانيات عامة، كلية الآداب واللّغات، جامعة المسيلة، 2017/2016، ص06.

المبحث الثاني: مفهوم الانسجام* ووسائله.

لمّا كان الاتّساق يبحث في الجانب الشكلي الظاهري للنّص، فإنّه بذلك لا يتجاوز الجانب الدّاخلي والعميق منه، وقد يسبب هذا صعوبة الفهم على المتلّقين، ومن هنا انطلق الباحثون ليصلوا الى فكرة أنّ كل نّص قابل للتأويل فهو منسجم في ذاته، لأنّه قادنا الى المعنى الصحيح الذّي يحمله النّص بين العلاقات الموجودة في عمقه وبنيته الدّلالية. لكن كيف يحدث هذا الانسجام وما هي أهم الأدوات التي يعتمد عليها لتحقيق ذلك؟ هذا ما سنتعرف عليه في مبحثنا الثاني.

1. **مفهوم الانسجام:**

تطرّق كثير من الباحثين إلى موضوع الانسجام، وكان لكل واحد منهم رأي فيه، فيقول عنه سعد مصلوح:" هو الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم" [1]فالانسجام يعمل على ضمان الاستمرارية في الكلام لكن من الجانب الدلالي، أي الموجودة داخل العلاقات القابلة للتأويل وبالتالي وصول المعنى للمتلقي، ذلك لأنه يخدم المستوى العميق للنّص المكون من الألفاظ التي تتسم بالوحدة والشمولية.[2] وتلك الوحدة والشمولية تتحدد بفضل تولد العلاقات المتشكلة بين أجزاء النّص الدّاخلية ويعرفه محمد عزّام بأنّه:" الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل المفاهيم والعلاقات الرابطة بينهما."[3] ويذكر هنا الطريقة التي تتم بها كتابة النّصوص، فالكاتب وجب عليه أن يتبع طريقة محكمة في كتابة نّصه ليستطيع القارئ تأويل الكلام، وعادة ما تكتشف العلاقات الدلالية في

* نقصد بالانسجام (cohérence) والذّي ترجم بعدّة مصطلحات منها: الحبك، التّماسك النّصي، وسنستعمل مصطلح الانسجام كونه الأكثر شهرة.

[1]– صبحي إبراهيم فقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، (ج2)، ص94.

[2]– ينظر بشرى حمدي البستاني، في مفهوم النّص ومعايير نصّيته القرآن الكريم، دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، العدد 1، 2011، ص184.

[3]– محمد عزّام، النّص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2001، ص48.

عمق النّص عن نفسها بشكل سهل وبسيط وهذا راجع إلى مدى نسبة انسجامه، والقارئ أيضا هو من يمتلك المقومات التي تأهله لتأويل نصّ ما، وفي هذه النقطة يقول ليفندوفيسكي" الانسجام حصيلة اعتبارات معرفية بنائية عند المستمعين أو القرّاء و هو تفعيل دلالي، ينهض على ترابط معنوي بين التصورات والمعارف، من حيث هي مرّكب من المفاهيم وما بينها من علاقات على معنى أنها شبكة دلالية مختزنة لا يتناولها النّص غالبا على مستوى الشكل، فالمستمع أو القارئ هو الذّي يصمم الانسجام الضروري أو ينشئه".[1] يعني ركزّ لفيندوفيسكي على القارئ في كونه يحدّد انسجام النّص، وأتى هذا التعريف شاملا كاملا حول ماهية الانسجام الذّي ينظم النّص دلاليا ويخلق تلك الدلالة من العلاقات المشكلة للخطاب فينتج ذلك المعنى العميق.

ويسميه أحمد عفيفي بالتماسك النّصي ويعرفه قائلا:" هو علاقة معنوية بين عنصر في النّص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النّص."[2] فالانسجام لا نلتمسه، يوصف بأنّه غير شكلي على خلاف الاتّساق بل هو أعمق من ذلك، يتغلغل وسط العلاقات المعنوية التي يتم اكتشافها من طرف القارئ وفي هذا يبدي محمد خطابي رأيه فيقول بأنّ الانسجام أعمّ من الاتساق،[3] كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام والمتلقي علاقة، فالخطاب يستمدّ انسجامه من فهم المتلقي وتأويله [4]فيحدث ذلك الاتصال بينهما، والنّتيجة اتّصال المعنى للقارئ وتشكل نصّا منسجما. ويعرفه سوفنسكي بقوله: "يقضي للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة، إذا اتّصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصّي أو موقف اتّصالي اتّصالا لا يشعر مع

---

[1]– محمد العبد، حبك النّص منظورات من التراث العربي، بحث منشور في فصول (مجلة)، العدد59، 2002، ص55.

[2]– أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدرس النّحوي، ص98.

[3]– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص05.

[4]– ينظر: مفتاح بن عروس، الاتّساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه في لسانيات النّص، كلية الآداب واللّغات، الجزائر، 2008، ص122.

المستمعين أو القارئ بثغرات أو انقطاعات في المعلومات."[1] فذلك الاتّصال بين المعلومات المتنوعة، والانتقال من معلومة إلى أخرى دون أن يلمس القارئ ذلك هذا ما يسمى بالانسجام النّصي.

فإذا كان الاتّساق يخدم الجانب الشكلي الظاهري المتحكم في بنية النّص، فإنّ الانسجام يتمثّل في البنيات الدلالية والعلاقات المعنوية الموجودة في عمق النّص، فيتحد الجانب الشّكلي مع الدّلالي ليكونوا نصّا متماسكا. فتلك العلاقات الدلالية الموجودة في المعلومات المقدمة من طرف النّص، تولد، التّرابط والتّماسك بين الجمل وهذا هو مصدر النصّية[2].

من خلال ما قدّمناه سابقا نستطيع أن نستنتج أهم ما يقدمه الانسجام:

- الاستمرارية الدلالية.
- تحقيق النّصية التي تجعل من النّص نصّا.
- دور المتلقي في التأويل والفهم، وترك الجانب الاستكشافي للمعنى عليه.
- يتجاوز الانسجام الأبنية السطحية الظاهرية، فهو أعمق من ذلك.
- يتحكم الانسجام في تماسك النّص من خلال ربطه للعلاقات المعنوية بين جمله.
- يجعل الانسجام من النّص وحدة كلية وشاملة.
- يعرف الانسجام بالتّماسك النّصي، ويتميز في كونه غامض يحمل المعنى الكلي للنّص، الذي يُكتشف من قِبل المستمع أو القارئ.
- المتلقي هو الذي يحكم على انسجام النّص من عدمه.

---

[1]– ع/ محمود بوستة، الاتّساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في لسانيات اللغة العربية، لغوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2008/2009، ص144.

[2]– ينظر: صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ج1)، (ط1)، ص99، 122.

2. وسائل الانسجام: للاتّساق وسائل لغوية شكلية تظهر على سطح النّص لتربطه شكليا، أمّا الانسجام كونه يخدم المستوى الدلالي العميق، ستكون أدواته تخدم البنية الدلالية والجانب التأويلي "فالانسجام يعني دلالة هذه العبارات الرابطة"[1] وتتمثل هذه الأدوات في:

2.1. **السّياق:** يعتبر السّياق أحد أهم الوسائل التي يعتمد عليها الانسجام حيث يتيح للمتلقي فرصة التأويل، ويعرفه فتحي إبراهيم بقوله:" هو بناء نّصي كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معيّنة، ودائما يكون السّياق مجموعة من الكلمات وثيقة الترابط، بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها."[2] فهو لا يخدم كل كلمة على حدة، بل يعمل على عدّة كلمات المكونة لجمل وفقرات مشكلة لنصّ ما، مما ينتج المعنى المطلوب. فالسّياق هو علاقة المعنى بالمعنى، وبالتّالي كل سياق يستلزم نصّا معيّنا.[3] لذلك نجد الباحثين يلجؤون إلى السّياق في حالة إذا ما كان الغموض غالبا على مضمون الخطاب، وكون السياق يرتبط بالنّص، فإنّنا نستطيع أن نعتمد عليه في تفسير وتأويل المعنى" ومن خلال معرفة السّياق المحيط بالنّص يزول ذلك التساؤل فإنّه يمثل الصّلة التي تربط الجمل التّي لا تبدو بينها تلك الصلة"[4].فالسّياق يوضح تلك الدلالة المتداخلة بين أجزاء النّص وعلاقات الوحدات بعضها ببعض التي تساعد على الترابط النّصي.

---

[1]– بن الدّين بخولة، الإسهامات النّصية في التراث العربي، ص 62.

[2]– فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين، (د.ط)، (د.س).

[3]– ينظر: رحيم مجيد راضي، الانسجام النّصي في القرآن الكريم، الميزان في تفسير القرآن الكريم للسيد الطباطبي نموذجا، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2014، ص18.

[4]– صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، ص 100.

فعندما تكون هناك متتابعات ليست مقبولة منطقيا يساعد السياق أن تكون مترابطة بالنظر إليه، مما يجعل التعامل مع المعلومات سهلا، والوصول إلى فهم المعلومات والمعاني المتبادلة مضمون.[1] فتظهر القيمة الجوهرية للمعاني حين اقترانها بالسّياق. وفي هذا يقول دي سوسير:" الكلمة إذا ما وقعت في سياق ما لا تكسب قيمتها إلّا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق لها أو لكليهما معا"[2] فالسّياق إذا يعمل عمله ضمن مجموعة من الكلمات.

ويعتبر فيرث من اللّغويين الذّين درسوا السّياق ويصرّح بأنّ " المعنى لا يُكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللّغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة."[3] فرأيه من رأي دي سوسير، فلابد من الرّبط بين الكلمات والسّياقات لتحديد وتوضيح المعاني التي تؤدي بنا إلى فهم النّص، وبالتالي انسجامه، وكل خطاب قابل للفهم والتأويل هو الخطاب القابل لأن يوضع في سياقه. ومن ثم فإنّ له دورا فعّالا في تواصلية الخطاب وفي انسجامه بالأساس، وما كان ممكنا أن يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه."[4] لذلك يعتبر من أهم أدوات الانسجام، كونه يرتبط بالمعنى الحاصل من خلال التأويلات، فالمتلقي له القدرة على وضع عدة تأويلات ثم يختار التأويل الصحيح الذي يتلاءم مع معنى النّص، فهو يحصر مجال التأويلات[5]، والكاتب يضع المتلقي ضمن تأويلات لا تخرج عن سياق النّص المحدد، ويجب أن يتوصل إليها.

أمّا هايمس فيجعل منه عناصر حصرها فيما يلي[6]:

- **المرسل:** (الكاتب) أي المتكلم.

---

(1)– ينظر: عزة شيل محمد، علم اللغة النّصي، ص01.

(2)– ع/فانديك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسين بحيري، (د.ط)، 2001، ص117.

(3)– صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النّظرية والتطبيق، ص106.

(4)– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص26

(5)– ينظر: نفسه ص52.

(6)– ينظر: الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النّصي وأدواته، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، العدد8، 2012، ص66.65.

- **المتلقي:** (المرسل إليه) أي السامع.
- **المستمعون:** يساهم وجودهم في تحديد معنى الحدث.
- **الموضوع:** محور الحديث.
- **الظرف:** زمان ومكان الحدث.
- **القناة:** الكيفية التي يتم بها التواصل.
- **الشفرة المستعملة:** اللغة المستعملة.
- **صيغة الرسالة:** شكل الخطاب.
- **الطابع:** يتضمن تقويم الكلام.
- **الغرض:** النتيجة.

كما يشير إلى أنّه ليس من الضّروري أن نذكر كل هذه الخصائص، بل التي تكون كافية للتأويل ليكتمل الفهم. فالسّياق من خلال ما تطرقنا إليه، هو تحديد معنى الكلمة من خلال علاقتها مع الكلمات الأخرى داخل الجمل والفقرات، ولا يمكن إعطاؤه مفهوما محددا كونه يتمتع بمجال واسع،" فهو انزلاق من المستوى التحليلي إلى مستوى آخر يتعلق بظروف إنتاج النّص، فالمرسل والمتلقي، وزمن النّص، ومكان إنتاجه، والحالة النّفسية للمرسل أو المتلقي كلها عوامل محددة للسّياق."[1] وهذا ما أشار إليه هايمس لتحديد سياق نصّ ما.

2.2. البنية الكلية الكبرى:

عندما نقول البنية الكبرى، نفهم أن هناك أبنية صغرى تكوّنت وتشكلت فيما بينها لتنتج بنية كليّة كبرى، تختص في ربط الوحدات الجزئية مكوّنة بذلك نسيجا من النّص" ويعني مفهوم البنية وجود

[1]– حمودي السعيد، الانسجام والاتّساق النّصي، المفهوم والإشكال، عدد خاص، 2012، ص110.

علاقات متنوعة ومتداخلة بين عناصر النّص ومقاطعه، يعبر عنها بالانسجام والتماسك."[1] فتلك الروابط والعلاقات المعنوية الضمنية تتداخل فيما بينها لتكون وحدة شاملة منسجمة تتصف بالنّصية.

والبنية الكبرى تحمل صفة الانسجام، كونها تمثل الطريق نحو فهم النّص وبيان المعنى الغامض، من خلال تسلسل الجمل المحتوية في ذاتها على علاقات دلالية تحافظ بها على نصّية النّص. ومن خلال الأبنية الصغرى يتوصل القارئ إلى الاستنتاج والافتراض للمعاني إلى أن يصل إلى البنية الكبرى فيتحدد ويتوضح له ما كان مبهما.

وتعرف البنية الكبرى بأنها غير حسّية تمتاز بالتجريدية أي مما هو في الذهن، إذ يقوم المتلقي بتحديدها وفق ما يتصوره ذهنه معتمدا على المفهوم الدلالي الذي يتحقق من الجمل المكونة للنص[2].

أما فان ديك فربط البنية الكلية بموضوع الخطاب كونه يعتبر بنية دلالية تصب فيها مجموعة من المتتاليات، ثم يأتي الدور على البنية الكلية التي تقوم بالتنظيم الدلالي لتلك المتتاليات في الخطاب[3]، فهي بنية مجردة تقارب موضوع الخطاب، الذي يقوم هو أيضا بالاختزال والتنظيم وتصنيف الأخبار دلاليا ويعتبر فان ديك هذا هو المفهوم النظري للبنية الكبرى الدلالية[4] أي أن موضوع الخطاب يقدم المعلومات والبنية الكبرى ترتبها وتنظمها دلاليا فلا يوجد خطاب دون بنية التي تسهم في اختصار النص. وبما أنّ البنية الكلية وسيلة من وسائل الانسجام، فإنها ترتبط بالمتلقي الذي يقوم بالتحليل والتفسير والتأويل والاختزال ويقول محمد خطابي:" إنّ البنية الكلية تعد

---

(1)– الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص، ص86.

(2)– http://www.startimes.com/?t=27370122 ، مقال نُشر يوم 2011/03/07، 12:44.

(3)– ينظر: الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النّصي وأدواته، ص 7.

(4)– ع/ يمينة جدرة، الاتّساق النّصي في الخطاب الأدبي "قصة الطائر الذي نسي ريشه للقاص علي الليبي" عيّنة، شهادة الماستر في اللسانيات النصّية، كلية الآداب واللّغات، الجزائر، 2014/2013، ص33.

افتراضا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضّحه وتجعله مقبولا كمفهوم، ووجد "فان ديك" أن موضوع الخطاب هو تلك الوسيلة[1] " فالبنية الكلية وموضوع الخطاب متكملان.

3.2. التغريض:

يحدّد كرايمس تعريف التّغريض بقوله: "هو كل قول، كل جملة، كل فقرة، كل حلقة، كل خطاب منظم حول عنصر خاص يتخذ كنقطة بداية"[2] وبما أنّ العنوان هو أول ما يبتدأ به الخطاب، اعتبر أهم وسائل التّغريض، ومن خلاله نستطيع فهم ما يدور حول موضوع النّص عن طريق تأويله.

والعنوان كفيل بأن يجذب القارئ ويلفت نظره إذا صيغت كلماته بطريقة جيدة، ويجب أن يكون شاملا لما يحمله النّص ويتناسب معه، لذلك يقول " براون" و "يول" في " أنّ العنوان يشير إلى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمّنه النّص" فيمثل العنوان موضوع الخطاب، ويحمل تلخيص محتوى النّص يوجه من خلاله القارئ لما هو موجود في النّص وهذا ما يجعله عاملا من العوامل التي تساعد على بناء النّص وانسجامه، إذ أنّه يجسّد الوحدة الكلية بصفة عامة، [3] بحيث يمثل المرجع الأول للتأويل، إذ يرتكز عليه المتلقي لمحاولة فهم النّص،" كما يحمل قيمة إشارية تفيد في وصف النّص في ذاته. وتبقى العلاقات بين النّص وعنوانه من المباحث الحيوية التي مازالت في حاجة إلى دراسات عملية تحليلية عميقة"[4]، فالعلاقة بين النّص وعنوانه تعتبر من السبيل الذي يحقق صفة الانسجام والتّماسك، وهذه الصفة هي ما جعلت مجاله واسعا يحتاج للكثير من التحليلات.

---

(1)– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص26.

(2)– ينظر: الطيب الغزالي قواوة، الانسجام النّصي وأدواته، ص70.

(3)– ينظر: محمود بوستة، الاتّساق والانسجام في سورة الكهف، ص187.

(4)– ع/ نفسه، ص188.

والتّغريض لا يمثله فقط العنوان، بل تكرير عنصر ما في الخطاب يندرج أيضا ضمنه، وقد يكون هذا التكرير راجعا إلى اسم شخص أو قضية ما، كما يمكن استعمال ضمير محيل إليه.[1].

وهذا الاستعمال المتكرر لعنصر ما، يريد به الكاتب أن يلمح إلى شيء أو غرض، أو لبيان أهمية ذلك الشيء المشار إليه في كل مرة، فيترك التأويل للقارئ، بعد أن يجعل له في الخطاب ما يدل على ذلك. ويتمثل عمله في حفاظه على خطية النّص التي تسهم في العملية التأويلية وفق تلك الجمل المتتالية[2]، فذلك الترتيب من الجمل يجعل العمل سهلا ومبسطا قابلا للفهم والتفسير.

يمكن أن نخلص من خلال ما عرضناه سابقا الى أنّ الاتساق والانسجام متكملان فهما وجهان لعملة واحدة، وكلاهما يخدم النّص يعجب به القارئ ويتميز بالنّصية إلا أنّ مواطن عملهما تختلف، إذ أنّ الاتساق يتمحور على المستوى السطحي للنّص، يعتمد على وسائل لغوية ذات وظيفة مشتركة,[3] فيسهم في البناء الشكلي له والرّبط بين أجزائه وفق أدوات معينة، إذ تركب الجمل وتصاغ الأساليب على المستويات المعجمية والنحوية، وتقسم أدوات الاتساق اعتمادا على تلك المستويات فتصنف: الإحالة، والاستبدال، والحذف ضمن المستوى النحوي، والتكرار والتضام تعود إلى المستوى المعجمي، أما الوصل فيتوسط النوعين كونه نحوي ويستعمل أدوات معجمية[4].

أمّا بالنسبة لأهمية الاتّساق فيمكن الإشارة إليها من خلال النقاط التالية:

- تحقيق النّصية التي تجعل من النّص نصّا.
- الرّبط بين الجمل والأجزاء النّصية التي تولد نصّا متماسكا شكليا ودلاليا.

---

(1)– ينظر: محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل الى انسجام الخطاب، ص59.

(2)– https://www.aljabriabed.net/n92_10amran.htm ، رشيد عمران، نحو لسانيات نصية عربية، في مفهوم النّص والتماسك النّصي.

(3)– ينظر: سعيد حسين بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات، دار نوبال للطباعة، القاهرة، (ط1)، 1997، ص122.

(4)– ينظر: بلحوت شريفة، مفهوم الاتّساق مايكل هاليداي ورقية حسن، مجلة الخطاب، العدد9، 2011، ص2016.

- التسهيل على القارئ أو المتلقي فهم موضوع النّص، كونه توفر على الشّروط اللاّزمة لاتّساقه.
- وجود العلاقات المعنوية بين العنصر والآخر، وبين الجمل يجعل النّص وحدة كاملة لا تقبل التجزئة.
- يتحقق الاتّساق عند رجوعنا للعنصر الأول من أجل فهم العنصر الثاني، فلولا وجود علاقة بينهما لما توضّح الثاني من الأول.

أمّا مجال عمل الانسجام فيتمحور حول المستوى العميق للنّص، أي البنية العميقة التي تتكون من جمل تربطها علاقات دلالية معنوية، ويعتمد على قواعد وأبنية تصورية تجريدية[1] قابلة للتأويل، فالانسجام ينظر إلى البنية الداخلية من جهة، وعلاقة النّص بالمتلقي من جهة أخرى.

أمّا بالنسبة للأدوات التي تندرج ضمن حقله، والتّي تمثله تعتمد جلّها على التأويل، وتلك التأويلات هي التي توصل المتلقي إلى المعنى الصحيح لفقرات النّص، فالانسجام ما هو إلا ظاهرة لغوية تهتم بعلاقات التّماسك الدلالية بين أجزاء النّص من ناحية، وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.[2] فنقول بأنّ الانسجام هو ارتباط أيضا لكن من الناحية الدّلالية يضّم ما هو عميق وخفي، فيربط العلاقات الدلالية، ثم يأتي الاتساق ليوضحها شكليا لنتحصل في الأخير على نّص يتمتع بالنّصية.

---

[1]– ينظر: سعيد حسين بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، ص123.

[2]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق، ص 96.

الفصل الثانـي

دراسة تطبيقية للاتّساق والانسجام

في قصيدة "البُردة"

المبحث الأول : الاتّسـاق فـي قصيدة البـردة

المبحث الثانـي : الانسجام فـي قصيدة البـردة

المبحث الأول: الاتّساق في قصيدة البُردة

تنوّعت وسائل الاتّساق في بُردة البوصيري، مما ساعد ذلك على إنتاج قصيدة متّسقة ومتماسكة، ومن خلال هذا الفصل سنعرض مواطن كل من الإحالة، والاستبدال والحذف، والوصل والاتّساق المعجمي، والعلامة الإعرابية بأنواعها في القصيدة. ونظرا لطول القصيدة أخذنا بضعة أمثلة لندعّم بها تلك الوسائل، ولكي نسهل القراءة على المتلقي، أدرجناها كاملة في الملحق ليتمكن من التّعرف على ما جاء فيها من مختلف الوسائل وكيف أسهمت في اتّساق القصيدة.

1. **الإحالة:** اعتمدت الإحالة في القصيدة على أدوات لتحقق لها ترابطها وتلاحمها.

1.1.**الضمائر**: اختلفت الضمائر في القصيدة من متكلم، ومخاطب، وغائب، كلٌ حسب الدور الذي تُمثّله وتُؤدّيه.

1.1.1.**ضمير المتكلم:** يقول الشاعر:

*10 يَالَائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْـذِرَةً مِنِّـي إِلِيْكَ وَلَـوَ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُـمِ

11 عَدَتْكَ حَالِـــــي لاَ سِرِّي بِمُسْتَتَـرٍ عَنِ الوُشَـاةِ * وَلَا دَائِـي بِمُنْحَسِـمِ[1]

الضمير المتمثل في ياء المتكلم والمرتبط بلفظة " **لائمي**" في الشطر الأول من البيت التاسع يحيل على الشاعر أي البوصيري، وهذا النّوع من الإحالة هو إحالة مقامية أي الى خارج النصّ. والحال نفسه مع المفردات المسّطر عليها "منِّي، سرِّي، دائِي"، فارتبطت بها ياء المتكلم لتحيل

---

[1]– الشيخ إبراهيم الباجوري، شرح البُردة للإمام البوصيري، ضبطها أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، 1923، ص06.

* الرقم الموجود يمين الأبيات أعلاه يمثل رقمها في القصيدة.

* عدتك= جاوزتك/ * الوشاة= الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب.

إحالة مقامية على الشاعر، وهذا النّوع من الإحالة ما أسهم في اتّساق القصيدة ولكن بشكل غير مباشر.

وكون ضمير الملكية (ياء المتكلم) يعمل لما هو خارج النّص، فيحيل على الشاعر لوجوده خارج القصيدة، كما احتوت أيضا على ألفاظ أخرى حملت الضمير الذي يعود على البوصيري وضعناها في الجدول رقم (01) وهو كالآتي[1]:

المحال عليه	أداة الإحالة		نوع الإحالة	رقم البيت
الشاعر (البوصيري)	إنِّي أَمَّارَتِي لِي ضَامَنِي وَصْفِي آمَالِي أَفْكَارِي	ياء المتكلم في آخر الكلمات تمثّل أداة الإحالة	إحالة مقامية إلى خارج النّص	(13) (14) (17) (81) (89) (91) (150)

الجدول رقم (01) يتضمن وجود ضمير المتكلم الذي أدّى إلى ترابط أجزاء القصيدة، حتى وإن كان يحيل إلى خارج النّص، وقد وجد هذا النّوع من الضمائر من أوائل الأبيات إلى أواخرها كما هو ملاحظ في الأمثلة السّابقة، وهذا ما زاد في اتّساق الأبيات مع ما هو خارج القصيدة.

1.1.2. ضمير المخاطب: استعمل البوصيري هذا النّوع من الضمائر ليخاطب أولا الرّسول صلى الله عليه وسلم، وثانيا المتلّقي.

- **مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم:**

يقول الشاعر مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم عن معجزاته:

108 سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَـــرَمٍ كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ* مِــنَ الظُّلَـــمِ

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري.

109 وَبِتَّ تَرْقَى إِلَى أَنْ نِلْــتَ مَنْزِلَةً مِنْ قَابَ* قَوْسَيْنِ لَـــــمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تُـرَمِ

110 وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِـــيَاءِ بِـــهَا وَالرُّسُـــــلْ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَـــــدَمِ [1].

فتاء المخاطب في "سريت، بتّ، نلت، قدّمتك"، أحالت على النّبي صلى الله عليه وسلم إحالة مقامية إلى خارج النّص، كما تضمّنت القصيدة ألفاظا أخرى ضمير المخاطب العائد على رسولنا الكريم يمكن إدراجها في الجدول رقم (02) الآتي[2]:

المحال عليه	أداة الإحالة		نوع الإحالة	رقم البيت
الرسول صلى الله عليه وسلم	مَزَجْتَ، قُلْتَ، أَنْتَ، حُزْتَ، جُزْتَ	تاء المخاطب في آخر الكلمات تمثّل أداة الإحالة	إحالة مقامية إلى خارج النّص	(01)، (03)، (111)، (115)

أما الجدول رقم (02) تضمّن تاء المخاطب، التي نالت مواطن عدّة في القصيدة لتحقق الاتّساق بين أبياتها، رغم إحالة الضمائر إلى شيء موجود خارج النّص.

1.1.2 مخاطبة المتلقي: يخاطب الشاعر المتلقي من خلال الأبيات الآتية فيقول:

23 واخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ* شَـرٌّ مِـنَ التُّخَـــــمِ

24 واسْتَفْرِغْ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنَ المَحَارِمِ وَالْـــزَمْ حِمْيَةَ النَّـــــدَمِ

25 وخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ واعْصِهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِـــــمِ[3].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص18.

[2]– نفسه.

[3]– نفسه، ص08.

*داج= مظلم/ *قاب= ما بين المقبض وطرف القوس / *مخمصة= المجاعة.

فالضمير "أنت" المستتر للأفعال" اخش، استفرغ، الزم، خالف، اتّهم"، يحيل إحالة مقامية على المتلقي أو القارئ، فارتبطت الأبيات أعلاه بما هو خارج القصيدة بفعل ذلك الضمير ليتكون الاتّساق.

وهناك إحالات أخرى جاءت بهذا الصدد نذكر منها في هذا الجدول رقم (03) الموالي[1]:

المحال عليه	أداة الإحالة		نوع الإحالة	رقم البيت
المتلقي أو القارئ	اصْرِفْ لا تُطِعْ – أنْتَ دَعْ انْسُبْ، احْكُمْ أَكْرِمْ	الضمير المستتر "أنت" لأفعال الأمر يمثّل أداة الإحالة	إحالة مقامية إلى خارج النّص	(20) (26) (44) (45) (55)

فجمعنا في الجدول رقم (03) العناصر التي تحمل ضمير المخاطب "أنت"، فيستعمل الشاعر ذلك الضمير في أبيات عدّة، ليحصل على ذلك التلاحم والتّرابط بين كل جزء من أجزاء القصيدة.

1.1.3. ضمير الغائب: استعمل الشاعر ضمير المخاطب مع الرسول صلى الله عليه وسلم تارة، وضمير الغائب تارة أخرى، والأبيات الآتية حملت ما يدّل على ذلك يقول البوصيري:

30 ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى أَنْ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَ مِنْ وَرَمِ

31 وشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وطَوَى تَحْتَ الحِجَارَةَ مُتْرَفَ الأَدَمِ

32 وراَوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ* مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّمَا شَمَمِ [2].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري.

[2]– نفسه، ص08–09.

* الشُّمُّ = المرتفعة.

يظهر ضمير الغائب " الهاء" في المفردات:" قدماه، أحشاءه، نفسه، راودته"، والذي يحيل على "من" العائدة على الرّسول صلى الله عليه و سلم إحالة نصيّة قبلية ذات مدى قريب ، لأنّ الأبيات السّابقة ذُكرت بعد البيت الذي حوى العنصر المحال عليه.

يعني لمّا قرأنا البيت الثلاثين، فهمنا أنّ المفردات التي جاءت في الأبيات التي بعده والمتوفرة على الضمير الغائب مرتبطة به، فلولاه لما فُهمت الأبيات التي جاءت بعده.

وهنا يكمن دور الإحالة في تأدية واجبها نحو الاتّساق، حيث ربطت بين عدّة أبيات معتمدة على الضمير الغائب.

ولمّا كانت الضمائر الغيبية تخدم الإحالة النصّية، أي تحيل على ما هو داخل النّص، فوجدنا عدّة ألفاظ تحيل على نبيّنا الفاضل وضعناها في الجدول رقم (04) الآتي ليتّضح ذلك:[1]

المحال عليه	أداة الإحالة	نوع الإحالة	رقم البيت
الرسول صلى الله عليه وسلم	زُهْدَهُ، ضَرُورَتَهُ	إحالة بعدية ذات مدى قريب	(33)
	لَوْلَاه	إحالة بعدية ذات مدى قريب	(34)
	مِنْهُ	إحالة قبلية ذات مدى قريب	(36)
	هوَ، شَفَاعَتُهُ	إحالة قبلية ذات مدى قريب	(37)
	اصْطَفَاهُ	إحالة قبلية ذات مدى بعيد	(42)
	مَحَاسِنَهُ	إحالة قبلية ذات مدى بعيد	(43)
	زَانَهُ	إحالة قبلية ذات مدى بعيد	(55)
	مَوْلِدُهُ	إحالة قبلية ذات مدى بعيد	(60)

فمرة أدّت الألفاظ إحالة ذات مدى قريب، ومرة ذات مدى بعيد، وعل الرّغم من البعد الحاصل بين العنصر المحال عليه وأداة الإحالة، إلاّ أنّ الاتّساق ظهر وبان من خلال ذلك البعد، وكل بيت ارتبط بالآخر نتيجة احتوائه على ضمائر محيلة تعود الى عنصر واحد.

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري.

أمّا العنصر الآخر الذي حُظي على عدد لا بأس به من ذلك هو آيات ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك من خلال الأبيات الآتية:

92 آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْـــدثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةَ المَوْصُـــوفِ بِالقِـــدَمِ

93 لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وهِـيَ تُخْبِرُنَـــا عَنِ المَعَادِ وعَنْ عَـــادٍ وعَـنْ إِرَمِ*

94 دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِـــزَةٍ مِنَ النَّبِيِيـــنَ إِذْ جَاءَتْ ولَـمْ تَـدُمِ

97 رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِـــهَا رَدَّ الغَيُورِ يَـدَ الجَانِـي عَنِ الحُـرُمِ

98 لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِـي مَدَدٍ وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِـي الحُسْـنِ والقِيَـمِ

99 فَلَا تُعَدُّ ولَا تُحْصَى عَجَائِبُـــهَا ولَا تُسَامُ* عَلَى الإِكْثَارِ بالسَّـــأَمِ

100 قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَـا فَقُلْتُ لَـهُ لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ الله فاعْتَـــصِمِ

101 إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِن حَرِّ نَارِ لَظَى* أَطْفَأَتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا* الشَّبِـمِ*[1]

وجدنا في الأبيات السابقة عدّة ألفاظ تحمل ضمير يحيل على " الآيات" الموجودة في البيت الثاني والتسعين، فالبيت الذي يليه ذكر فيه ضمير المؤنث الغائب" هي" والذي يحيل إحالة قبلية قريبة المدى على "الآيات"، فارتبط البيت الأول مع الذي يليه عن طريق ضمير الغائب، لنعلم أن البيتين يدوران حول نفس الموضوع، وبقي ذلك مستمرا إلى البيت مائة وواحد فالألفاظ:" دامت، فاقت، جاءت"، أحالت على لفظة الآيات إحالة قبلية ذات مدى قريب. أمّا بالنسبة لـ: "بلاغتها معارضها، لها، عجائبها، بها، قاريها، تتلها، وردها"، فأحالت إحالة قبلية ذات مدى بعيد، فكان الشاعر يربط الأبيات عن طريق الضمير نفسه الذي يعود على "الآيات" في كل مرّة ممّا خلق أبيات متّسقة ومتشابكة بعضها ببعض، كما أسهم ذلك الضمير في وحدة الأبيات الموضوعية.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص16-17.

*لاتسام=لا توصف / *نار لظى=جهنم / *الشّبِم=البارد/ *وردها= الملح الذي يورد منه الماء.

هناك أبيات أخرى ارتبطت بواسطة الضمير نفسه، لمّا تكلم الشاعر عن النفس أي نفس الإنسان فقال:

14 فَإِنَّ أَمَّارَتِي بالسُّوءِ مَا اتَّعَظَـــتْ مِنْ جَهْلِهَـــا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ والهَـــرَمِ

17 مَن لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ* مِن غَوَايَتِـــهَا كَمَا يُرَدُّ جِمَـــــاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُـمِ

18 فَلَا تَرُمْ* بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا إِنَّ الطَّـــعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّـهِـــمِ*

20 فَاصْرِفْ هَوَاهَا وحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـــهُ إِنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْـمِ أو يَصِـــمِ

21 ورَاعِهَا وهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَـةٌ* وإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتْ المَرْعَى فَلاَ تُسِـــمِ*[1].

في الشّطر الثاني من البيت الأول أحالت لفظة" جهلها" على "الأمّارة بالسوء" وهي النّفس من الشطر الأول إحالة قبلية ذات مدى قريب عن طريق الضمير الغائب "هي"، والحال نفسه مع لفظة "غوايتها."

ثم تأتي الألفاظ " شهوتها، هواها. راعها، هي"، لتحمل نفس الضمير الذي يحيل إحالة قبلية على "النّفس" ذات مدى بعيد، ورغم ذلك التباعد بينهم إلاّ أننا لم نتحسّسه، كون الأبيات جاءت متماسكة بفضله.

أمّا العنصر الآخر المحال عليه هو الصحابة رضي الله عنهم، والأبيات الآتية توضح ذلك:

126 حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلاَمِ وهِي بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِـــهَا مَوْصُـــولَةَ الرَّحِـمِ

128 هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَـهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِـــي كُـــلِّ مُصْطَـــدِمِ

131 والكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَـــتْ أَقْلاَمُهُمْ حَرْفَ جِسْـــمٍ غَيْـــرَ مُنْعَجِـــمِ

132 شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِيمًا تُمَيِّزُهُـــمْ والوَرْدُ يَمْتَـــــازُ بالسِّيمَا عَـــن السَّلَـمِ

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص06-07.

*سائمة=مشتغلة / *لاتسم=لا تبقها فيه / *الجماح= القوة والغلبة.

* ترم= ترجو / *النّهم= شديد الشهوة للطعام/

133 تُهْدِي الَيْكَ رِيَاحَ النَّصْرِ نَشْرَهُـمْ فَتَحْسَبُ الزَّهْـرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِـــي

134 كَأَنَّهُم فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًـا* مِنْ شِـــدَّةِ الحَزْمِ* لَا مِنْ شِدَّةِ الحُـــزُمِ[1]

فالضمير في "بهم، ومنهم، وأقلامهم، وتميّزهم، ونشرهم، وكأنّهم..." يحيل إحالة لغير المذكور، ومن سياق الكلام نفهم أن الحديث يدور حول الصحابة لمّا كانوا يخوذون الحرب ضدّ الكفار، فلم يذكر اسم الصحابة لا قبل الألفاظ المحيلة عليها ولا بعدها، لذلك كانت إحالة لغير المذكور، وهذه الأخيرة عملت على ترابط الأبيات واتّساقها وتلاحم كل جزء منها. و عند دراستنا هذه الأبيات لفت انتباهنا وجود إحالة تعود على "ملّة الإسلام"، فأحالت عليها العناصر "هي"، و"غربتها"، و هذه الاحالة حدثت على مستوى البيت فأنتجت العناصر المحيلة شطرين متّسقين متلاحمين، بمساعدة ضمير الغائب "هي".

ثمّ يذهب الشاعر للتكلم عن أعداء الصحابة وهم الكفّار، فضمّت الأبيات الآتية الألفاظ التي أحالت عليهم:

77 ومَا حَوَى الغَارُ منْ خَيْرٍ ومِـن كَرَمٍ وكُلُّ طَرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عَنْـهُ عَمِـــي

78 فالصِّدْقُ فِي الغَارِ والصِّدِّيقُ لمْ يَرِمَا وهُـــــمْ يَقُولُـــونَ مَا بالغَـارِ مِـــنْ أَرِمِ*

120 مَازَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَـــــــرِكٍ حَتَّى حَكَـوْا بالقَنَا* لَحْمًـا عَلَـى وَضَـمِ*

132 كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُـمَ بِكُلِّ قَـــــــرْمٍ* إِلَى لَحْمِ العِدَا قَـرِمِ

129 وسَلْ حُنَيْنًا وسَلْ بَدْرًا وسَلْ أُحُـدًا فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَـــمِ*[2].

الضمير الغائب "هم" في البيت (78) قد أحال إحالة نصّية قبلية ذات مدى قريب على "الكفّار"

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص20–21.

[2]– نفسه، ص14–21.

* الوخم=الوباء / *قرْمٍ=شجاع/ *القَنا =الرمح/ *وضم= ما يضع العقاب اللحم عليه /* أرم= واحد/ *نبت ربا=الاستقرار والثبوت/ * الحُزم= القوة.

فارتبط البيتان من خلال تلك الاحالة بمساعدة الضمير الغائب "هم"، ثم يذهب البوصيري بالكلام ليرجع به الى الكفّار مرّة أخرى حتى البيت مائة وعشرون واحتوت الألفاظ "يلقاهم، ساحتهم، لهم" الضمير الذي يدّل عليهم المتمثل في "هم" وتلك الألفاظ أحيلت بدورها إحالة قبلية ذات مدى بعيد يعني أن الشاعر اكتفى بذكر الضمير فقط ليتكلم عن الكفّار مرة ثانية دون أن يكرر اللفظة نفسها وهذا ما زاد من اتّساق الأبيات، فعلى الرّغم من بُعد الأبيات عن لفظة الكفار، إلاّ أنّها ارتبطت بفعل الضمير، ولم تُفهم العناصر إلاّ بالرجوع إلى المفردة الأولى "الكفّار".

وظهرت الإحالة في مواضع أخرى لألفاظ مختلفة نذكر منها ما يلي:

04 أَيَحْسِبُ الصَّبُّ* أَنَّ الحُبَّ مُنْـــكَتِمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْــهُ وَمُضْطَـــرِمِ*[1].

فالضمير الغائب في الشّطر الثاني "منه" أحيل إحالة قبلية ذات مدى قريب على "الحبّ" في الشّطر الأول.

12 مَحَّضتَنِي النُّصْحَ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُــذَّالِ فِي صَمَــمِ[2].

توفرت الإحالة في الشطر الأول من البيت لمّا أحيلت لفظة: أسمعه" إحالة قبلية ذات مدى قريب على " النّصح".

25 وخَالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِمَا وإنْ هُمَا مَحَّضَــاكَ النُّصْــحَ فَاتَّهِــمِ[3].

توفر البيت على إحالتين اثنين، مرة لما أحيلت لفظة "اعصهما" على "النفس والشيطان" إحالة قبلية قريبة المدى، ومرة أخرى لمّا أحيل الضمير "هما" على نفس العنصر في الشّطر الثاني إحالة قبلية ذات مدى قريب.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص05.

[2]– نفسه، ص06.

[3]– نفسه، ص08.

*الصَّبُّ= العاشق / *مضطرم= مشتعل

90 فالدُّرُّ* يَزْدَادُ حُسْنًـــــا وهُوَ مُنْتَظِمٌ ولَيْسَ يُنْقِصُ قَدْرًا غَيْـرَ مُنْتَظِـــمِ[1].

وهذا البيت حاله حال الأبيات السابقة، حيث حوى عنصرا أو ضميرا متمثل في "هو" ليحيل إحالة قبلية ذات مدى قريب على "الدّرّ" ، ومن خلال الأمثلة التي استخرجناها، يمكننا القول أنّ الضمائر ساعدت على اتّساق القصيدة إذ ربطت أجزاء منها بأجزاء أخرى، لذا نجد أنّ أبياتها مترابطة ومتماسكة، وهذا لمّا فهمنا العنصر الثاني برجوعنا للعنصر الأول وهذا هو لبّ الاتّساق.

1.2.**أسماء الإشارة:**

وجدنا في القصيدة حالة واحدة فقط، اشتملت على اسم من أسماء الإشارة حين قال البوصيري:

83 لا تُنْكِرِ الوَحْيَ منْ رُؤْيَاهُ، إنَّ لَهُ قَلْبًا إذَا نَامَتِ العَيْنَـــانِ لَمْ يَنَـــمِ

84 وذَاكَ حَيـــنَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِـــهِ فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَـــالُ مُحْتَلِـــمِ[2].

ذُكر اسم الإشارة "ذاك" في البيت 84 ليحيل إحالة قبلية ذات مدى قريب على "الوحي" من البيت 83، وهذه الإحالة أسهمت في ارتباط البيتين ارتباطا وثيقا يساعد على خلق الاتّساق.

1.3.**المقارنة:** أمّا هذا فلم يوظّف في القصيدة ولم يستعمل منه البوصيري أيّ نوع من أنواعه.

1.4.**العلامات الإعرابية:**

وهذه الأخرى التّي تعبر عن الإحالة، كان لها نصيب في القصيدة لتحقق الاتّساق.

يقول البوصيري:

92 آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَـــنِ مُحْـــدِثَةٌ قَدِيمَةٌ صِفَةَ المَوْصُـــوفِ بالقِـــدَمِ

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص16.

[2]– نفسه.

*االدّرّ= اللؤلؤ.

95 مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِيـــنَ منْ شُبَـــهٍ لِذِى شِقَاقٍ ولَا تَبْغِينَ مـــنْ حَكَـــمِ[1].

نلاحظ تكوّن علاقة بين البيتين (92) و (95) ، وتلك العلاقة أسهمت في خلقها العلامة الإعرابية في آخر كلمة " محكّماتٌ" والتي تحيل إحالة قبلية على "آياتٌ" في البيت (92) فهي صفة لها، والضّمة الظاهرة في آخرها دلّت على اقترانها بها، وهذه العلامة تشير إلى وجود الاتّساق بين أجزاء البيتين.

(126) حتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإسْلَامِ وهِيَ بِهِمْ مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُـــولَةَ الرَّحِـــمِ[2].

أمّا في هذا البيت نلاحظ اقتران شطرين من نفس البيت بفعل علامة النّصب في "موصولةَ"، والتي تحيل إحالة قبلية على الفعل الماضي الناقص "غدَت" في الشّطر الأول، واتّضح معنى الكلمة الثانية و انتماؤها لمّا رجعنا إلى الكلمة الأولى فهي خبر لها ، ومنه يمكن القول أنّ الشطرين اتّسقا بفضل تلك العلامة الإعرابية التي أحالت على عنصر موجود في البيت نفسه.

وتظهر العلامة الإعرابية لتحقيق الاتّساق مرّة أخرى في:

124 يَجُرُّ بَحْـرَ خَمِيـــــسٍ فَوقَ سَابِحَـــةٍ يَرْمِـــي بِمَوْجٍ منَ الأَبْطَـــالِ مُلْتَطِـــمِ

130 المُصْدِرِي* البِيضَ* حُمرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ مِنَ العِـــــدَا كُلَّ مُسْـــوَدٍّ مِنَ اللِّمَـــمِ

132 شَاكِي السِّلَاحَ لَهُمْ سِـــيَمًا تُمَيِّـزُهُـــمْ والوَرْدُ يَمْتَازُ بالسِّيَمَـــا عَـــنِ السَّلَـــمِ[3].

ففي هذا المثال عملت الياء في لفظة " المصدرِي" و"شاكي" بإنشاء علاقة بين ثلاثة أبيات متباعدة، قرّبت بينهم لمّا أحيلتا إحالة قبلية على "الأبطال" فهما صفتان لها. فالمسافة بين الصفتان و موصوفهما، ثم تولد ترابط بينهما بالرّغم من تلك المسافة، هذا هو مصدر الاتّساق.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص16–17.

[2]– نفسه، ص20.

[3]– نفسه، ص20–21.

* المصدري= جمع مُصدِر من أصدَرَ عن المَاء أي رجع / *البيض= السيوف المصقولة

نلاحظ من خلال الأمثلة التي استخرجناها من بردة البوصيري أنّ الإحالة كان لها نصيب وافر ودور بارز في عملية الاتّساق، حيث عملت على ربط عناصر ومفردات القصيدة، إلى أن وصلت إلى ربط الأبيات والفصول، وتعتبر من أكثر الوسائل استعمالا، وكانت تعتمد على الضمير بأنواعه تارة ثم أسماء الإشارة والعلامة الإعرابية تارة أخرى، مما ولد لنا ألفاظا تحيل بعضها على بعض، وهذا الطريق الذي يؤدي إلى اتّساق النص وتلاحمه، وكانت الإحالة النصّية الأكثر توفرا في النّص، وكان الضمير أكثر ما مثل ذلك النّوع، فانتشر في القصيدة أكثر من الوسائل الأخرى كونه الأكثر شيوعا. إلاّ أنّ جميع أدوات الإحالة كانت تعمل لصالح النّص وتحقيق نصّيته.

2. **الاستبدال:**

يقول الشاعر:

35 مُحَمَّدٌ سَيِّـــــــــدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْنِ* والفَرِيقَيْـــنِ منْ عُرْبٍ ومِــنْ عَجَــمِ[1].

ثم يقول في بيت آخر:

45 وانْسُبْ إلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ منْ شَرَفٍ وانْسُبْ إلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ منْ عِظَــمِ[2].

فقام الشاعر باستبدال لفظة "محمَّدٌ" بـ "ذاته"، وهذا التعويض يندرج ضمن الاستبدال الاسمي، حيث اعتمد فيه الشاعر على إحدى ألفاظه التي يمكن أن نعوضها مكان ألفاظ معيّنة، فالعنصر المستبدِل به جاء متأخرا عن العنصر المستبدَل منه ليعمل على الاتّساق مع حفاظه على الاستمرارية في الكلام. والاستبدال لم يظهر إلاّ مرة واحدة في هذا المثال في القصيدة، لينوع به الشاعر تارة بين المفردات، وتفاديا للتكرار تارة أخرى.

---

[1]–إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 09.

[2]– نفسه، ص 10.

*الثقلين= الجن والإنس.

3. **الحذف:** تنوّع الحذف في القصيدة من اسمي الى فعلي الى قولي، وهذه أمثلة منها:

1.3. **الحذف الاسمي:** يقول الشاعر في مطلع القصيدة:

02 أَمْ هَبَّتْ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ* و أَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إضَمِ*[1].

تقدير الكلام: و أومض البرق في اللّيلة الظّلماء من إضم، فقام الشاعر بحذف الموصوف واكتفى بالصّفة، والدّليل على ذلك الحذف هو "البرق" كونه يظهر في اللّيل المظلم، ونوع هذا الدليل مقالي سابق، والذّي أدّى إلى ظهور الاتّساق بشكل واضح، لأنّ المعنى اتّضح من خلاله .

ثم يقول:

50 كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيـــرَةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَـــمِ

95 ومُحَكَّمَاتٌ فَمَا تَبْقِـــينَ مِنْ شُبَهٍ لِذِى شِقَـــاقٍ ولا تَبْغِينَ مِنْ حَكَـــمِ[2].

فتقدير الكلام: في البيت الأول "هو كالشّمس"، والدّليل على ذلك الخبر "كالشمس" فهذا الدّليل مقالي لاحق، وكون كل خبر يحتاج مبتدأ ، فتوصلنا إلى فهم أن المبتدأ محذوف، وأدّى اكتمال المعنى إلى اتّساق البيت.

وهو الشيء نفسه بالنسبة للبيت الثاني، إذ قدّر الكلام بـ " وآياتٌ محكّماتٌ"، فحُذف المبتدأ والدّليل على ذلك سياقي، مقالي، إذ فهمنا الكلام من سياقه ووضّحته الصفة " محكّماتٌ".

وفي مثال آخر يقول فيه الشاعر:

21 كَمْ حَسَّنَـــتْ لَذَّةً لِلْمَـــرْءِ قَاتِلَـــةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يُدْرِكْ أَنَّ السُّمَّ في الدَّسَمِ[3].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 05.

[2]– نفسه، ص 11.

[3]– نفسه، ص07.

كاظمة= اسم موضع / إضم= اسم جبل.

تقدير الكلام: كم مرّة حسّنت لذّة للمرء قاتلة، والدّليل على هذا الحذف هو "كم" الخبرية وجاءت على شكل دليل مقالي سابق، فأسهمت على وضوح المعنى وبالتالي اتّساق أجزاء البيت بعضها ببعض.

ثم ظهر الحذف الاسمي مرّة أخرى لمّا تحدّث الشاعر عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:

74 أَقْسَمْتُ بالقَمَـرِ المُنْشَـقِّ أنَّ لَـهُ مِنْ قَلْبِـهِ نِسْبَـةً مَبْرُورَةَ القَسَـمِ[1].

تقدير الكلام: أقسمت برّب القمر المنشقّ، والدّليل هنا سياقي كوننا نحن المسلمون نقسم بالله عزّ وجلّ، فمن سياق الكلام فهمنا بأنّ البوصيري أقسم بالرّب وليس بالقمر، إلاّ أنّ هذا الدّليل لم يوضح الاتّساق بشكل مباشر.

ولاحظنا في إحدى الأبيات حذف في ثلاثة مواضع في البيت نفسه وهذا لمّا قال البوصيري:

129 وسَلْ حُنَيْنًا وسَلْ بَدْرًا وسَلْ أُحُـدًا فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَـمِ[2].

وتقدير الكلام: وسل زمن حنين وسل زمن بدر وسل زمن أحد، حيث حُذفت لفظة زمن والدّليل على ذلك مقالي لاحق فغزوة بدر، وحنين، وأحد تتعلق بالزمن، وهذا الدّليل تركه الشاعر ليوضح معنى البيت ومنه اتّساقه.

3.2. **الحذف الفعلي:** تنوّع حذف الأفعال في أبيات القصيدة مثله مثل الحذف الاسمي، ويظهر ذلك في قوله البوصيري:

17 مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَـاحٍ مِنْ غِوَايَتِهَـا كمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْـلِ باللُّجُـمِ[3]

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 14.

[2]– نفسه، ص21.

[3]– نفسه، ص07.

تقدير الكلام: من يتكفل لي بردّ جماح من غوايتها، فحذف الفعل " يتكفل" والدّليل على ذلك دليل سياقي، أي نفهم الحذف من خلال سياق الكلام لمّا طلب البوصيري المساعدة ليتغلب على نفسه، وهذا البيت لم يتوضح فيه الاتّساق بشكل جيد كون الدّليل فيه سياقي. وفي بيت آخر يقول:

80 وقَايَةُ الله أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَـــةٍ مِنَ الدُّرُوعِ وعَنْ عَالٍ مِـــنَ الأُطَـــمِ*[1].

وتقدير الكلام: وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وأغنت عن عال من الأطم، فحذف الفعل "أغنى" من الشطر الثاني و تُرك الأول لنتفطن الى وجود هذا النّوع من الحذف، مما أنتج بيتا متّسقا ومترابطا كل جزء بغيره.

3.3. الحذف القولي:

أمّا بالنسبة للحذف القولي، فقد وجدنا منه ما يلي: يقول البوصيري:

75 مِثْلَ الغَمَامَةِ* أَنَّى سَـــارَ سَائِرَةٌ تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ* لِلْهَجِيـــرِ حَمِـــي.[2]

وتقدير الكلام: مثل الغمامة انّى سار فهي سائرة معه، حيث حذفت جملة جواب الشرط وترك دليل مقالي سابق ليدل عليها المتمثل في : أنّى سار"، وهذا الدليل كان له الفضل ليفهم معنى الكلام في البيت، ومنه اتّساقه.

ثم يقول في بيت أخر:

28 اسْتَغْفِرُ الله منْ قَوْلٍ بـــلَا عَمَـــلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْـــلًا لِذِي عُقُـــمِ[3].

تقدير الكلام: والله لقد نسبت به نسلا لذي عقم، فحذف البوصيري جملة القسم من الشطر الثاني، والدّليل على ذلك سياقي.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 16.

[2]– نفسه، ص 14.

[3]– نفسه، ص 08.

*الغمامة= السّحابة/ *حرّ وطيس= حر الشمس/ *الأطم= الحصون.

ونختتم هذا النّوع من الحذف بالمثال الآتي:

110 وقَدَّمَتْكَ جَمِيـعُ الأَنْبِـــيَاءِ بِهَـــــا والرُّسُـــــلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَـدَمِ[1].

وتقديم الكلام: في الشطر الثاني" والرّسل تقديما مثل تقديم مخدوم على خدم" والدّليل على ذلك الحذف مقالي لاحق" تقديم"، ممّا أنتج لنا بيتا مفهوما مترابطا متّسقا في ذاته.

فتنوّعت المحذوفات في القصيدة، فمنها ما حُذف مبتدؤها وبقي خبرها، ومنها ما حُذف فعلها... إلاّ أن هذا الحذف الحاصل في القصيدة زاد من اتساقها لمّا استطاع القارئ فهم الأبيات من خلال تأويله على حساب الدلائل الموجودة التي تركها الشاعر من أجل ذلك.

4. **الوصل:** أمّا فيما يخص الوصل، فقد عثرنا منه الكثير خاصة فيما يتعلق بمطلق الجمع، وما سنعرضه، يمثل أهم الأبيات التي احتوت أنواع الوصل.

1.4. مطلق الجمع: يقول الشاعر:

09 نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْـــوَى فَأَرَقَنِـــي والحُبُّ يَعْتَـــرِضُ اللـــدَّاتِ بالأَلَـــــمِ[2].

وهنا يربط الشاعر شطريْ البيت عن طريق أداة الربط (الواو)، ليتوضح لنا أنّهما يحملان الموضوع نفسه، فارتبط الشطر الثاني بالأول مكونا ذلك بيتا متماسكا يحمل صفة الاتّساق.

وفي موضع آخر يقول:

14 فَإِنَّ أَمَّارَتِي بالسُّوءِ مَـــا اتَّعَظَـتْ مِنْ جَهْلِهـَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ والهـــــرَمِ.

15 ولاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى* ضَيْفٍ أَمَّ* بِرَأْسِـــي غَيـْرَ مُحْتَشَـــمِ[3].

هنا تمّ الجمع بين البيتين بالأداة نفسها (الواو)، ليخبرنا الشاعر أنّه ما يزال يتحدث حول الموضوع نفسه، وهذا ما زاد في تشابك وترابط الأبيات.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 18.

[2]– نفسه، ص06.

[3]– نفسه، ص 06-07.

ونلاحظ في الأبيات:

23 واخْشَ الدَّسَائِسَ من جُوعٍ ومِن شَبَعٍ فَرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَـــرٌّ مــن التُّخـــمِ

24 واسْتَفْرِغْ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدْ امْتَـلأَتْ من المَحَـــارِمِ والْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـــدَمِ

25 وخَالِفْ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِمَا وإنْ هُمَا مَحَّضَـــاكَ النُّصْحَ فاتَّـهِـــمِ

26 ولا تُطِعْ مِنْهُـــمَا خَصْمًا ولاَ حَكَمًا فأنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْـمِ والحَكَـــمِ[1].

أنّه تمّ الجمع بين أكثر من بيتين (بالواو)، فجاءت الأبيات متلاحمة وكلّ بيت متعلق بالآخر ويعبّر عنه، وهذا ما يحتاجه الاتّساق لتكوين متتالية من الجمل تمتاز بالنّصية.

أمّا في إحدى الأبيات جاء الربط كالتالي:

56 كالزَّهْرِ في تَرَفٍ والبَدْرِ في شَرَفٍ والبَحْرِ في كَرَمٍ، والدَّهْـرِ في هِمَـــمِ[2].

وهنا حدث الربط بين الشطرين، وبين كلمات الشطرين، فربطت الأداة (واو) بين صفات الرّسول صلّى الله عليه و سلّم، وبين كل جزء من أجزاء البيت، لنتحصل على بيت و متماسك الأجزاء.

فهذا النّوع من الوصل كثير الشيوع نظرا للخدمة التي يقدّمها بالجمع بين الكلمات والأجزاء التي تصبّ في موضوع معين، ومنه تحقيق الاتّساق.

2.4. **التخيير**: ظهر هذا النّوع من الوصل في القصيدة مرتين، مرّة لمّا قال البوصيري:

41 وواَقِفُـــونَ لَدَيهِ عِنْـــدَ حَدِّهِـــــمْ منْ نُقْطَةِ العِلْمِ أو منْ شَكْلَةِ الحِكَمِ[3].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 08.

[2]– نفسه، ص12.

[3]– نفسه، ص10.

*قرى= ضيف، إكرام الضيف/ *أمّ = نزل

وهنا تمّ التخيير عن طريق الأداة (أو)، للربط بين صورتين متماثلتين وهما نقطة العلم وشكلة الحكم، فوجودها أدى إلى بيان وجود ذلك التماثل، ومنه فهم محتوى البيت وذلك الفهم الجيّد يؤدي إلى اتّساق البيت.

وفي مثال آخر ذكرت الأداة "أو" مرتين في البيت نفسه حين قال البوصيري:

88 بِعَارِضٍ* جَادَ أو خِلْتُ البِطَاحَ* بِهَا سَيْبٌ* منَ اليَمِ أو سَيْلٌ منَ العَرِمِ*[1].

فتوفر البيت على الأداة (أو) في الشطرين، وذلك لاحتوائهما صورتين متشابهتين في المعنى، فتماسك الشطر الأول، وتلاحم الثاني مكونين بيتا متسقا يفهم محتواه.

وضّح هذان المثالان عمل الأداة "أو" عند ربطها بما هو متماثل لتنتج كلاما مفهوما وبالتالي متّسقا.

3.4. **الاستدراك:**

وهو الآخر كان له نصيب في القصيدة ويظهر ذلك في قول الشاعر:

12 مَحَّضتَنِي النُّصْحَ، لَكْن لَسْتُ أسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عنِ العُــذَّالِ* فِي صَمَــمِ[2].

جاءت الأداة (لكن) لتربط بين جملتين متعارضتين هما: (محضتني النصح) و(لست أسمعه)، فرغم تلقي البوصيري النّصح، إلاّ أنّه لم يسمعه من كثرة الحبّ في قلبه، وانعدام التطابق بين الجملتين، قامت بجمعه الأداة لكن الاستدراكية الأمر الذي أدّى إلى ارتباطهما ممّا أنتج تضافر الجمل.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص16.

[2]– نفسه، ص 06.

* العرِم= اسم واد / * عارض= السحاب/ *البِطاح= واد متسع فيه دقاق الحصى/ * العُذّال= جمع عاذل وهو الآثم في الحب / * سيب= الجري.

وفي بيت آخر يقول:

28 أَمَرْتُكَ الخَيْرَ، لكن مَا ائْتَمَرْتُ بِـــهِ وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَـا قَوْلِي لكَ اسْتَقِـــمِ[1].

وهو الشيء نفسه بالنسبة للمثال السّابق، إذ عبّرت الأداة "لكن" عن الاستدراك الذي جمع بين (أمرتك الخير) و (ما ائتمرت به)، فهما يمثلان جملتين متعارضتين، تمّ الجمع بينهما.

لم نجد هذا النّوع من الوصل سوى المثالين السّابقين، وكان له دور فعّال في الجمع والرّبط بين عناصر البيت الواحد، وهذا الرّبط يمثل أهم شيء في الاتّساق.

بالنسبة للنّوع الرابع من الوصل" التفريع" فلم يكن هناك منه شيء في القصيدة. ومن خلال الأمثلة التي عملنا عليها، نستنتج أنّ الوصل خلق نسيجا من العلاقات بين المفردات والعبارات، ومنه أدى إلى اتّساق المستوى المعجمي للقصيدة اعتمد فيه على أدوات متنوعة عملت على ذلك.

5. **الاتّساق المعجمي:** كما ذكرنا آنفا أن الاتساق المعجمي يتحقق بوسيلتين: التكرار والتضام.

1.5. التكرار: شهدت القصيدة من التكرار عددا كافيا بين أهميته ذلك من خلال عرضنا لأهم الأبيات التي احتوته.

يقول البوصيري:

13 إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيــبِ في عَـذَلٍ* والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْــحٍ عـنِ التُّهَـمِ.

14 فإنَّ أمَّارَتِي بالسُّـــوءِ مَا اتَّعَظَـــتْ مِنْ جَهْلِـــهَا بنَذِيرِ الشَّيْـبِ والهـــرَمِ[2].

نلاحظ في البيتين السابقين تكرار "الشّيب" ثلاث مرات، فكل كلمة مكررّة كانت تدّل على السّابقة، وذلك التكرار المباشر للكلمة نفسها أسهم في تحقيق التماسك النّصي بين أجزاء القصيدة، ممّا يؤدي إلى تسهيل فهم المضمون.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص06.

[2]– نفسه، ص06.

*عذل= اللوم.

وفي موضع آخر يقول:

13 وأَكَدَّتْ زُهْدَهُ فيـــــهَا ضَرُورَتَـــــهُ إنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْــدُو علَى العِصـــمَ*

14 وكَيفَ تَدْعُو إلى الدُّنْيَا ضَرُورَةَ مـنَ لَوْلاَهُ لم تَخْرُجْ الدُّنْـــــيَا منْ عَـــــدَمِ[1].

كما هو موضح في البيتين السّابقين، تكرار للفظة "ضرورة"، فيؤكد عليها البوصيري في كلامه ليلفت انتباه القارئ بها، وهذا التوكيد يزيد من توضيح و بيان المعنى، و بالتالي اتّساق الأبيات فيما بينها. ويكرر في البيت14 لفظة "الدّنيا" مرّتين، الأولى في الشّطر الأول و الثانية نفسها في الشّطر الثاني. ثم يكرّر لفظة "رسول الله" أربع مرّات، وهذا توضيح على أنّ القصيدة تخص ومرتبطة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه اللفظة عملت على الجمع بين عناصر القصيدة المتباعدة، فتنوّعت المكررات إلاّ أنّ الهدف واحد.

ومن خلال الأمثلة السابقة يتبيّن لنا مدى أهمية التكرار في حفاظه على التماسك والترابط النّصي، بالإضافة إلى تكثيفه للكلمات داخل القصيدة مما يجعلها تتمتّع بمستوى معجمي غنيٍّ بالألفاظ، وهذا كلّه من أجل تسهيل القراءة والفهم على القارئ.

2.5 **التضام:** استعمل الشاعر في بردته عدّة ألفاظ جمعتها علاقة التضاد ومن أمثلة ذلك:

23 واخْشَ الدَّسَائِسَ من جُـــوعٍ ومن شَبَـــعٍ فرُبَّ مَخْمَصَـــــةٍ شَـرٌّ منَ التُّخَـمِ[2].

فالجوع كلمة مضادة للشبع، وما جمع بينهما هو التضاد، فرغم ذلك الاختلاف في المعنيين، إلا أنّهما اجتمعتا وترابطتا بحكم تلك العلاقة لنتحصل على اتّساق بين كلمات البيت الواحد.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص08.

[2]– نفسه، ص08.

*العصم= المعصومين و هم الأنبياء عليهم السلام.

ويقول في بيت مغاير:

35 مُحَمَّدٌ سَيِّـــدُ الكَونَيْـــــنِ والثَّقَلَيـــنِ والفَرِيقَينِ من عُـــرْبٍ ومـنْ عَجَـــمِ[1].

وهو الشيء نفسه، إذ جُمع بين المتضادين "العرب والعجم"، ليتلاحم البيت ولإتمام المعنى.

ويقول أيضا:

49 أعْيَا الوَرَى فَهْمُ مَعْنَاهُ فلَيْـــسَ يُـــرَى في القُرْبِ والبُعْدِ فِيهِ غَيْـرُ مُنْفَحِـــمِ[2]

ساعد الجمع بين "القرب والبعد" عل غرار علاقة التضاد، الأداة (واو) التي تعبّر عن الوصل، فارتبط السابق باللاحق ليولد بذلك الاتّساق.

وآخر مثال نختتم به هذا النوع هو:

(60) أبَانَ مَوْلِدُهُ عـــن طِيـــبِ عُنْصُـــــرِهِ* يا طِيبَ مُفْتَتِـــــحٍ منْهُ ومُخْتَتَـــــمِ[3].

فجمعت المفردتان "مفتتح ومختتم" لتضادّهما، والكلمات المتضادّة تعطي معاني للقصيدة وبالتالي سهولة فهم موضوعها، ومنه تحقيق الاتّساق.

ومن خلال عرضنا لأهم الأبيات التي مثلت التكرار والتضام، يتبيّن لنا دورهما الفعّال في نسج علاقات في المستوى المعجمي، الذي يؤدي إلى الاتّساق المعجمي، إذ عمل التكرار على أداء هذه المهمة من خلال إعادة اللفظة نفسها مرتين أو أكثر، وكل كلمة مكررة ارتبطت بالتي قبلها ويبلغنا الشاعر من خلالها عن أهميتها، لذلك كان إحدى علامات الجمال النصّية.

أمّا التضام فقد جمع بين الألفاظ تحت ضوء علاقة التضاد، وهذا الجمع أفاد فيتماسك أبيات القصيدة.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص 09.

[2]– نفسه، ص 11.

[3]– نفسه، ص 12.

* الورى= الخلق / * منفحم= عاجز/ *عنصره= الأصل.

وبشكل عام، عملت كل وسائل الاتّساق بأنواعها على تلاحم كل جزء من أجزاء القصيدة، مؤدية دورا هاما لتتصف القصيدة بالنصّية، فوزعت الأدوار حول تلك الوسائل، كلٌّ حسب عملها لتتحد في الأخير من أجل تحقيق الاتّساق المطلوب.

المبحث الثاني: الانسجام في قصيدة البُردة

عمل الاتّساق على ترابط النّص شكليا وظاهريا، اعتمد في ذلك على وسائل تنتمي إلى المستوى النحوي والمعجمي والدّلالي، أما وسائل الانسجام فتعتمد على التأويل كونها تنتمي إلى الجانب العميق والخفّي للنّص، فإذا كان الاتّساق يجمع بين العلاقات الدلالية الظاهرية، فالانسجام يجمع بين العلاقات الدلالية المعنوية. وفي هذا المبحث سنقوم بالتعرف على كيفية أداء وسائل الانسجام لتحقيق تماسك القصيدة.

1. **السيّاق:** يعتبر السّياق من أهم الوسائل التي تخدم الانسجام، وهذا النّوع من الوسائل يقودنا إلى التأويل والذي من خلاله نصل إلى المعنى المطلوب، أمّا عن السيّاقات الموجودة في القصيدة فهي كثيرة وكلّ جزء منها يخضع ويعبّر عن سيّاق معيّن.

1.1. **السيّاق الأول:** بما أنّ القصيدة جاءت لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فمن البديهي أن نجد الأبيات التي تدور حول هذا السيّاق واستهل الشاعر قصيدته بالمدح حيث قال:

01 أَمِنْ تَذْكُّرِ جِيرَانٍ بـــــذِي سَلَـــمٍ مَزَجْتَ دَمْعـــاً جَرَىْ مِنْ مُقْلَةٍ بِـــــدَمِ[1].

في هذا البيت إشارة إلى أنّ سياق البيت الذي يدور حوله هو مدح خير خلق الله صلى الله عليه وسلّم، حيث بدأ الذكر بالمواضع التي بقرب المدينة الشريفة، التي كان يسكنها الجيران المحبوبين، فهذا السياق الأول في مدح النبي عليه الصلاة والسلام.

وجاءت أبيات أخرى تدور حول السّياق نفسه مثله:

36 نَبِيُّنَا الآمِـــرُ النَّاهِي فَلَا أَحَـــدٌ أَبَرَّ في قَـــوْلٍ لَا مِنْـــهُ وَلَا نَعَـــمِ[2].

والمقصود من البيت أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم إذا نهى أو أمر يكون صادقا، وطبعا يستمد

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص05.

[2]– نفسه، ص09.

ذلك من الله عزّ وجلّ، وهذا مدحٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمدى صدقه.

39 فَاقَ النَّبِيِّـــنَ في خَلْقٍ وفي خُلُـــقٍ ولَم يُدَانُـــوهُ في عِلْـــمٍ ولا كَـــرَمِ[1].

وسياق هذا البيت هو نفسه" المدح"، إذ زاد النّبي عليه الصلاة والسلام عن باقي الأنبياء في جمال وجهه وحسن خلقه والأخلاق والخصال الحميدة التي جاءت فيه، كالعلم والحياء والتواضع والعدل...إلخ.

42 فَهُو الذِّي تَمَّ مَعْنَـــاهُ وصُـــورَتَهُ ثُمَّ اصْطَفَـــاهُ حَبِيبَا بَارِئ النَّسَـــمِ[2].

وهذا بيت آخر يدور حول السّياق نفسه، فالشاعر راح يمدح كمال صورته ووجه الكريم وكمالاته من الخلق، ليكون حبيبا للأمة الإسلامية كلّها.

1.2. **السيّاق الثاني:** المتمثّل في المرسل وهو البوصيري، فكل سياق يتطلب مرسل، حيث بان البوصيري في كلّ مرّة، حين مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، و حين نصح، و حين طلب المغفرة.

فكان النّصح في:

25 وخَالِفِ النَّفْسَ والشَّيطَانَ واعْصِهِمَـــا وإِنْ هُمَـــا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِـــمِ

26 ولاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمًـــا ولا حَكَمًـــا فأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْـــمِ والحَكَـــمِ[3]

فهذان البيتان اجتمعا تحت ضوء سيّاق معيّن وهو النُّصح.

أمّا في طلب المغفرة:

159 والْطُفْ بِعَبْدِكَ في الدَّارَيـــنِ إنَّ لَهُ صَبْرَا متَى تَدَعُهُ الأهْـــوَالُ يَنْهَـــزِمِ[4].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص10.

[2]– نفسه، ص10.

[3]– نفسه، ص08.

[4]– نفسه، ص25.

فتدور كلمات هذا البيت حول سياق واضح وهو التّضرع لله وطلب المغفرة منه.

1.3. **السّياق الثالث:** أمّا السّياق الثالث فيخصّ المتلقي أو القارئ الذي يعتبر ثاني أهم عنصر لتوضيح السيّاق، فأراد أن يبيّن البوصيري مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، وعظمة شأنه للقارئ كونه ينتمي للأمة الإسلامية، و للوصول الى هذا التّوضيح لابد من أن يلعب القارئ دوره في تحديد السّياق و تأويله.

1.4. **السّياق الرابع:** السّياق الرابع يتمثّل في زمان ومكان القصيدة، أو يمكن القول الأسباب أو المناسبة أو الظّروف التي أدّت بالبوصيري كتابته للقصيدة، وجاءت هذه الأخيرة بسبب مرض البوصيري، فكتبها راجيا من المولى عزّ وجلّ أن يبرأه، فسياق المقام هو الذي يرشدنا إلى أهم السياقات التي بنيت عليها القصيدة، والحالة النفسية التي كان يعيشها الشاعر في ذلك الوقت كانت متدهورة، أدّت به للتفكير في كتابة قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ليخفف عن نفسه ذلك الشعور السيئ.

1.5. **السياق الخامس:** يخصّ موضوع القصيدة أو المحور الذي تدور حوله أبياتها، فتنوّعت المواضيع داخلها من مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى الحديث عن مولده، ثم التحدّث عن معجزاته، وحروبه مع أصحابه وغيرها من المواضيع، إلاّ أنها كانت تعود إلى نفس المرجع وهو مدح النبي عليه الصلاة والسلام و هو السّياق الذّي يلّم بالقصيدة.

من خلال السّياقات التي تطرقنا إليها سابقة الذكر، يتبيّن لنا أن كل من المرسل والمتلقي، ومقام القصيدة، وظروف إنتاجها وموضوعها وضّحوا لنا ما حملته القصيدة في أبياتها، واستطعنا أن نصل إلى تأويل صحيح، فسياقات الأجزاء مع سياقات الأبيات كلها اتحدّت دلاليا لتعطي لنا سياق محدد بنيت عليه القصيدة، والدور الذي لعبه السياق من خلال تأويل المعاني والكلام، زال به غموض الأبيات وبالتّالي تكونت لنا قصيدة منسجمة متماسكة في ذاتها.

2. **البنية الكلية الكبرى:** تمثّل البنية الكلية الكبرى وحدة النّص، كونتها أبنية صغرى خطابية توصلنا إليها من خلال تأويل المعنى، ويمكننا أن نحدد تلك البنيات في القصيدة التي أسهمت في بناءها.

1.2. **البنية الأولى:**

من

01 أَمِنْ تذْكُـــرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَـــــمِ مَزَجْتَ دَمْعًـــــا جَرَىْ مِنْ مُقْلَةٍ بِـــدَمِ.

إلى

12 مَحَّضَتَنِي النُّصْحَ، لكن لَستُ أسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عنِ العُذَّالِ فـــي صَمَـــــمِ[1].

فتمثلت الأبيات الاثنا عشر الأولى بنية صغرى حملت موضوع النسّيب النبوي، ووصفٌ لحال الشاعر لحبّه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكونت هذه البنية بفعل العلاقات الضمنية التي ارتبطت بالأبيات مسهلة على القارئ فهم موضوعها.

2.2. **البنية الثانية:**

من

13 إنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْـبِ في عَـــذَلٍ والشَّيْـبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَـــمِ.

إلى

28 أَمَرْتُكَ الخَيْرَ، لكِن مَـــا ائْتَمَرْتُ بِـــــه ومَـــا اسْتَقَمْتُ فمَا قَوْلِـي لَكَ اسْتَقِـــمِ[2].

أمّا هذه الأبيات حملت في طيّاتها موضوع التّكلم عن هوى النّفس والتحذير من الوقوع فيه، فانسجمت الأبيات الستة عشر بفعل تسلسلها، والتي ساعدت القارئ على تأويل معناها، ليتوصل بذلك إلى المفهوم الصحيح، ومنه انسجام الأبيات في ذاتها.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص06.05.

[2]– نفسه، ص8.7.6.

3.2. البنية الثالثة:

من

29 ولاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَـــةً ولمْ أُصَـــلِّ سِوَى فَرْضٍ ولَـم أَصُمِ

إلى

58 كَأَنَّهَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِـقٍ منْـهُ ومُبْتَسِـمِ[1].

وقام هنا البوصيري بإنشاء علاقات بين ثلاثين بين، ليخّص فيها ذكر لمحاسن الرسول صلى الله عليه وسلم ومكارمه وطيب ممشاه، وعظمة شأنه، فتلك العلاقات الدلالية الضمنية الموجودة في عمق الأبيات قادتنا للتأويل الصحيح للمعنى، ومنه انسجام للأبيات.

4.2. البنية الرابعة:

من

59 لاَ طِيبَ يَعدِلُ تُرْبًـا ضَمَّ أَعْظُمَهُ طُوبَـى لِمُنْتَشِـقٍ منْـهُ ومُلْتَثِـمِ

إلى

71 كَأَنَّهُم هَرَبًـا أَبطَـالُ أَبرَهَـةٍ أو عَسْكَرٌ بالحَصَى منْ رَاحَتِهِ رُمِـي[2].

فاجتمعت الأبيات الأخيرة كغيرها من الأبيات الأخرى تحت ضوء علاقة معيّنة لتتكلم عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم والفضل الذي أتى معه، فنظرا لانسجام الأبيات استطعنا تأويل الكلام لنفهم معناها.

5.2. البنية الخامسة:

من

72 نَبْذًا بـِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَـا نَبْذَ المُسَبِّـحِ منْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِـمِ

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص12.08.

[2]– نفسه، ص14.12.

إلى

87 وأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَـــاءَ دَعْوَتَهُ حتَّى حَكَتَ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهَمِ[1].

فتكلّم البوصيري في هذه الأبيات السّتة عشر عن معجزات الرّسول صلى الله عليه وسلم والتي لم يشهدها قبله أحد من الأنبياء، الأمر الذي جعل الناس في حيرة من أمرهم، وتاب من خلالها الكثيرون، وهذه البنية الموحدة لموضوع الأبيات أدّت إلى إنتاج الانسجام والتماسك.

6.2. البنية السادسة:

من

88 بِعَارِضٍ جَادَ أو خِلْتُ البِطَاحَ بِهَا سَيْبٌ مِنَ اليَّـــمِ أو سَيْلٌ منَ العَرِمِ

إلى

114 كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْـــلٍ أيُّ مُسْتَتْرٍ عنِ العُيُوبِ وسِـــــرٍّ أيُّ مُكْتَتَـــمِ[2]

من خلال استطاعتنا لتأويل الكلام، فهمنا موضوع الأبيات الذي كان يدور حول القرآن الشريف، مع ذكر بعض القصص التي وردت فيه، كإسراء النّبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج.

7.2. البنية السابعة:

من

105 قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ منْ رَمَدٍ ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَـــاءِ منْ سَقَـــمِ

إلى

117 بُشْرَى لنَا مَعْشَرَ الإسْـــلَامِ إنَّ لَنَـــا مِنَ العِنَايَـــــةِ رُكْنًا غَيْـرَ مُنْهَـــدِمِ[3].

وهذه الأبيات الخاصّة بقصّة ليلة الإسراء والمعراج كما ذكرنا سابقا.

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص16.14.

[2]– نفسه، ص16.

[3]– نفسه، ص19.18.

8.2. البنية الثامنة:

من

118 لمَّا دَعَا الله دَاعِينَـــا لِـــطَاعَتِهِ بِأَكْـــرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَـــمِ

إلى

139 كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ الله منْ جَدَلٍ فيهِ وكَم خَصَمَ البُرهَانُ مــن خَصِــمِ[1].

وارتبطت هذه الأبيات بحكم وحدته الموضوعية المتمثلة في جهاد النّبي صلى الله عليه وسلم، هو وأصحابه وكيف قاوموا الكفّار وكيف نصرهم الله عزّ وجلّ نصرة للإسلام، وهذا الارتباط ولّد علاقات تؤدي إلى انسجام القصيدة.

9.2. البنية التاسعة:

من

146 كَفَاكَ بالعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِـــزَةً في الجَـــاهِلِيَّةِ والتَّأْدِيبِ في اليُتُـــمِ

إلى

151ولَنْ يَفُوتَ الغِنَى منهُ يَدًا تَرِبَـــتْ* إنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فـــي الأُكُـــمِ*[2].

وكانت هذه الأبيات للتوسل وطلب الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن الانسجام متجليا في الأبيات، لما وصلنا بتأويلنا إلى الفهم الصحيح لها.

10.2. البنية العاشرة:

من

152 ولَمْ أرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا التِّي اقْتَطَفَـتْ يَدَا زُهَيْرٍ بمَـــا أَثْنَى عـــلَى هَـــرِمِ

إلى

161 مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحَ صَبًا وأَطْرَبَ العِيسَ* حَادِي العِيــسَ* بالنَّغَمِ[3].

---

[1]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص22.19.

[2]– نفسه، ص24.23.

[3]– نفسه، ص24.25.

*العيس= الإبل / *حادي العيس= سائقها / *تربت= التصقت بالتراب /*الأكم= الربوة.

واختتم البوصيري قصيدته بالتّضرع إلى الله عزّ وجل والمناجاة ليعفر له خطاياه، ليكون الاستغفار خير كلام يختتم به قصيدته هذه.

دون أن ننسى أنّ للبنية الكبرى تأويل يُفهم بشكل صحيح لمّا كان لها علاقة بموضوع الخطاب، ولمّا كانت القصيدة مكتوبة لمدح النّبي صلى الله عليه وسلم، سهّل لنا هذا تأويل الأبيات وفهم معناها ومنه إزالة الغموض واللّبس، وكل هذا يؤدي إلى الانسجام والتماسك النّصي. والبنيات الصغرى اتّحدت واجتمعت لتعطي لنا بنية كلية كبرى متماسكة قامت بتنظيم أفكار القصيدة وتسلسل أحداثها، ورغم اختلاف المواضيع إلاّ أنّ الشاعر نجح في ربطها فيما بينها لمدح خير خلق الله عزّ وجل، وهذه الوحدة الكليّة المتماسكة والمتشابكة شكّلت لنا قصيدة منسجمة في ذاتها تحمل علاقات دلالية معنوية بين كل بنية من بنياتها العشر.

3. **التغريض:** بما أنّ العنوان هو الذي يبتدأ به الخطاب أو النّص، فسنعطيه الأولوية في الدراسة، وقد اشتهرت القصيدة بثلاثة عناوين وهي: "البردة، البرأة، الكواكب الدّرية في مدح خير البريّة"[1]، ولكل عنوان مفهوما خاصّا به يرتبط بالقصيدة، وبما أنّ أشهر عناوينها " البردة" سنبدأ بها.

1.3. **البُردة:** جاء في الكتب أنّ السبب الرئيسي لتسمية البُردة بالبُردة، هو أنّ البوصيري كان مريضا بداء الفالج، وكان دائما ما يدعو الله ليشفيه فأراد كتابة قصيدة في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم عسى أن يفرج الله عنه عزّ وجلّ، إلى أن رأى في منامه يوما أنّ النّبي عليه أفضل الصلاة والسلام مسح بيده الكريمة عليه ولفه ببردته، وبعدها قام من فراشه وبرأ، ولمّا سأله الناس

[1]– محمد أبو الحسين، قصيدة البُردة للبوصيري: دراسة أدبية، مجلة القسم العربي باكستان، العدد 24، 2017، ص 77-78.

عن القصيدة قال: أسميتها بالبردة.[1] فاستوحى الشاعر عنوان قصيدته من المنام الذي رآه، وكان يرى بأن القصيدة بمثابة بردة له.

فلما قمنا بتأويل عنوان القصيدة، فهمنا سبب اختيار هذا الاسم ووجدنا مدى الانسجام بين العنوان والقصيدة.

2.3. **البرأة:** قال الباجوري:" سُميت بالبرأة لأنّ الشاعر برأ بها"[2]، وهذا ما جاء في الكتب، وما ذكرناه أعلاه، فلمّا كانت القصيدة سببا في شفائه أراد أن تحمل ذلك السّبب في عنوانها، وهنا نجد الانسجام أي العلاقة بين العنوان والقصيدة مرتبطة تماما، وهذه العلاقة أسهمت في بناء القصيدة وانسجامها.

3.3. **الكواكب الدّرية في مدح خير البّرية:** يتّضح لنا من خلال هذا العنوان أن القصيدة جاءت لمدح الرّسول صلى الله عليه وسلم، والمدح بدأ من العنوان حين قال خير البّرية، وجاء العنوان مسجوعا متناغما يلفت انتباه القارئ ويعمل على تشويقه لقراءة المضمون، ويقصد بالكواكب الدّرية الأبيات التي جاءت في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلم والتي شبهها بالكواكب المنيرة والمضيئة لقيمتها الموضّحة لعظمة الرسول عليه أزكى الصلوات والسلام، وتأويلها دلّنا على هذا المعنى. ولمّا قرأنا القصيدة وجدنا مدى التطابق بينهما، حيث دل وحمل موضوع القصيدة ومثّل الفكرة العامة لها، ومنه يمكن القول أنّ القصيدة منسجمة.

أمّا بالنسبة لتكرير أسماء الأشخاص، فقد كرّر البوصيري اسم الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا شيء طبيعي كون القصيدة مخصصة لمدحه.

---

[1]– ينظر: بدر الدّين محمد الغزي، الزبدة في شرح البردة، تر: د. عمر موسى باشا، الجزائر، 2007، ص36.

[2]– محمد أبو الحسين، قصيدة البُردة للبوصيري: دراسة أدبية، ص 78.

و تمّ تغريض اسم الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا بطرق عدة منها تكرير اسمه في قوله:

154 ولَنْ يَضِيقَ رَسُولُ الله جَاهُكَ بِي إذَا الكَرِيمُ تَحَــلَّى باسْــمِ مُنْتَقِــمِ

147 فإنَّ لِي ذِمَــةً منــهُ بِتَسْمِيَــتِي مُحَمَّدًا وهــوَ أَوْفَى الخَــلْقِ بالذِّمَــمِ

136 ومنْ تَكُنْ برَسُــولِ الله نُصْرَتُهُ إنْ تَلْقَــــهُ الأسْدُ في آجَامِهَا تَجِــمِ*. [1]

أو تمّ التغريض بالإشارة إليه بإحدى الضمائر كقوله:

107 ومَنْ هو الآيَةُ الكُبْــــرَى لِمُعْتَبِرٍ ومنْ هو النِّعْمَــــةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِــمِ[2].

فتمت الإشارة إليه في الشطر بين بنفس الضمير المتمثل في "هو" فهذا التغريض جعل من الرّسول صلى الله عليه وسلم المحور الذي ترتكز عليه القصيدة لتدور حوله بقية الأجزاء الأخرى ولمّا جاءت هذه التغريضات متتالية ومنتظمة، تمكن المتلقي من فهم ذلك، وهذا التغريض كان نظرا لأهمية تلك الشخصية.

إنّ أدوات الانسجام زادت من وضوح المعنى والغاية من كل ما احتوى القصيدة، فسياقات الأبيات اتضح مفهومها من خلال التأويل، وتكونت البنية الكبرى من بنيات صغرى خطابية التي شدّت من وحدتها وتماسكها، ثم التّغريض الخاص بالعنوان الذي يمثل اختصار الموضوع الكلي للقصيدة، وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم الواضحة من خلاله، كلّ هذا أنتج نصّا منسجما مفهوما مترابطا بفعل العلاقات الدلالية الضمنية المتواجدة داخل عمق القصيدة.

---

[1]– ينظر: بدر الدّين محمد الغزي، الزبدة في شرح البردة، تر: د. عمر موسى باشا، الجزائر، 2007، ص36.

[2]– إبراهيم الباجوري، شرح البردة للبوصيري، ص18.

* تجم= تسكت.

خاتمة

بعد عرضنا لأهم مفاهيم كل من الاتّساق والانسجام، وبيان عمل وسائلهما، والكيفية التي جعلا بها قصيدة البُردة متماسكة ومنسجمة، يمكننا أن نخلص إلى أهم ما جاء في البحث.

- اعتمد الاتّساق على أدوات عملت على المستوى الدلالي، والمعجمي والنحوي.
- كان للإحالة في قصيدة البُردة دور بارز، وحضور قوي على غرار الأدوات الأخرى إذ قدّر استعمالها حوالي 70%.
- طبقت الإحالة بنوعيها في بُردة البوصيري: مقامية ونصّية، إلاّ أنّ النصّية كانت لها استعمالات أكثر من المقامية، وكانت الضمائر تفصل بين النوعين، إذ استعمل البوصيري الضمير (أنا وأنت) ليدّل على الإحالة المقامية، وترك ضمائر الغائب (هو، هي، هم) ليدلّ على الإحالة النصيّة.
- احتلّ الضمير المركز الأول في القصيدة، والذي كان في خدمة الإحالة النصّية خاصة منه الضمير "هو"، فقد شهدنا منه الكثير في القصيدة مثال ذلك:

107 وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمُغْتَنِمِ

فاستعمل هذا الضمير ليحيل على الرسول صلّى الله عليه وسلّم تارة وعلى عناصر أخرى تارة في القصيدة مثل: "الوحي، إيوان، الطفل، الهوى". الا أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم أخذ النسبة الأكبر في إحالة الضمير (هو) عليه.

- استعمل الشاعر الضمير "هي" أيضًا ليدل على الإحالة النصّية بنسبة معتبرة، فوجدنا منها عدد كافٍ قدّر بـ (16) مرّة، وكانت أغلبها تحيل على لفظة"الآيات"، والباقي حول النفس لقوله:

21 وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأعمَالِ سَائِمَةٌ وإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتْ المَرْعَى فَلَا تُسِمِ

- أمّا الضمير "هم" كان يحيل على الصحابة مرّة وعلى الكفار مرّة أخرى حيث توفّر هذا الضمير في القصيدة (13) مرّة.
- أمّا بالنسبة لأنواع الإحالة فانقسمت إلى قبلية وبعدية، قريبة وبعيدة، إلاّ أنّ القبلية أسهمت في اتّساق القصيدة لكثرة وجودها عن غيرها، وكانت في أغلب الأحيان قريبة المدى.
- توفّرت القصيدة على نوع آخر أدرجناه ضمن أنواع الإحالة وهو الإحالة لغير المذكور مثّلها الضمير "هم" لمّا أحال على الصحابة رضوان الله عليهم.
- جاء في القصيدة مثالاً واحداً حوى اسم من أسماء الإشارة الذي تمثل في "ذاك"، ليحيل إحالة قبلية على الرسول صلّى الله عليه وسلّم، أمّا أدوات المقارنة لم تتوفر في القصيدة.
- ساعدت العلامة الإعرابية هي الأخرى الأدوات الإحالية على اتّساق أبيات القصيدة، فكانت الضمة، والكسرة، والفتحة، علامات تدلّنا على العنصر المرتبط بها، فربطت الفتحة بين الشطرين في البيت(126)، والضّمة بين البيت (92) و(95)، والكسرة بين البيت (124) و(130)، و(132).
- نال الاستبدال فرصة واحدة فقط في قصيدة البُردة، لمّا استبدل الشاعر لفظة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بـ "ذاته" ليدلّ عليه، وكان نوعه ينتمي الى الاستبدال الاسمي.
- توفرت قصيدة البردة على الحذف بأنواعه بكثرة، خاصّة منه الاسمي، فغالبا ما كان يحذف الشاعر المبتدأ، أو صفة الموصوف، أو موصوف، كما حذف الأفعال وجمل جواب الشّرط والقسم، تاركًا وراءه دليلا ليكتشف المتلقي العنصر المحذوف، وهذا ما زاد في اتّساقها.
- كان للوصل أهمية في القصيدة بأنواعه، إلاّ أنّ مطلق الجمع نال فرصًا عديدة، فكانت الأداة (واو) تربط بين الشطرين في البيت (85)، وبين البيتين في (62) و(63)، وبين الأبيات في

(23)، (24)، (25)، (26)، أمّا بالنسبة للاستدراك والتخيير فظهرا في القصيدة مرتين فقط والتفريع لم يكن منه شيء.

- عمل الاتّساق المعجمي على اتّساق القصيدة وذلك بالتكرار والتّضام، وكان من أهم ما كُرر لفظة "الشّيب" و"رسول الله"، أمّا التضام جمع بين المتضادين في أربع مواطن في كلّ القصيدة.
- أسهمت هذه الأدوات والوسائل بأنواعها، على جعل القصيدة متّسقة ومتماسكة ومترابطة من بدايتها إلى نهايتها.
- عمل الانسجام على استخراج معنى الأبيات من القصيدة لفهم معناها اعتمد فيها على أدوات قابلة للتأويل.
- مثّل السياق أهم عناصره، لمّا استطعنا من خلاله معرفة المرسل والمتلقي، وظروف إنتاج نص القصيدة، وحتى مواضيعها المختلفة، فهمنا كل ذلك لمّا وضعنا الكل في سياق معيّن، لتصبح القصيدة بذلك قابلة للفهم.
- أسهمت البنية الكلية الكبرى في وحدة القصيدة الشاملة، والتي كونتها عشر بنيات صغرى،تناول كل منها موضوعا معيّنا. وجرت كل بنية جرت في ذهن المتلقي ليؤولها ويفهم تلك الموضوعات التي حملتها أبيات القصيدة.
- كان تغريض العنوان يمثل بوابة القصيدة يمكن أن يفهم من خلاله المتلقي ما يدور حولها فكانت لـ البُردة، والبرأة والكواكب الدريّة في مدح خير البريّة مفاهيم خاصة بها تتعلق بموضوع القصيدة، وتوصلنا إلى تلك المفاهيم لمّا استطعنا تأويل كل عنوان على حدى. بالإضافة إلى تغريض اسم الرسول صلّى الله عليه وسلّم سواء باسمه أو بالإشارة إليه ليلفت الشاعر انتباهنا و مدى أهمية ذلك العنصر المغترض.

- كل أدوات الانسجام القابلة للتأويل يتحكم فيها المتلقي، فهو الذي يحدد ما إن كان النّص نّصاً، فإذا توصّل إلى تفسير المعنى وتوضيحه، كان النّص منسجماً.

هذه النقاط والاستنتاجات توصلنا إليها من خلال دراسة القصيدة لنتوصّل إلى أنّ الاتّساق والانسجام ساعدا على ربط فصول القصيدة وأبياتها، بالرّغم من تعدد الموضوعات فيها، إلاّ أنّنا لم نستشعر ذلك الانتقال، لأنّ الشاعر احترم تلك الأدوات.

ولا يمكن أن نقول أنّ هذا البحث قد توفّر على كل المعلومات اللاّزمة، بل هو محاولة لمعرفة بعض خصائص البردة، ولعل هذا البحث يساعد طلبة آخرين لمعرفة خصائص أخرى لهذه القصيدة بالاستدراك عليه والاضافة إليه.

فهرس المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم برواية ورش.

I. **الكتب:**

1. أحمد عفيفي، نحو النّص اتجاه جديد في الدّرس النحوي، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، (ط1)، 2001.
2. الأزهر الزّناد، نسيج النّص بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، (ط1)، 1993.
3. بدر الدّين محمد الغزي، الزبدة في شرح البُردة، تر: د. عمر موسى باشا، الجزائر، (د.ط)، 2007.
4. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1998.
5. روبيرت دي بوجراند، النّص والخطاب والاجراء، تر: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، (ط1)، 1998.
6. زتسيسلاف وأوزنياك، مدخل إلى علم النّص مشكلات بناء النّص، تر: سعيد بحيري، المختار للنشر والتوزيع، (ط1)، 2003.
7. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنّص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية"، دار المنظومة، مصر، (د.ط)، 1991.
8. سعيد حسين بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات، دار نوبال للطباعة، القاهرة، (ط1)، 1997.

9. الشيخ إبراهيم الباجوري، شرح البُردة للإمام البوصيري، ضبطها أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، 1923.

10. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ، (ط1)، 2000.

11. عزّة شبل محمد، علم لغة النّص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط2)، 2009.

12. فان ديك، علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد بحيري، (د.ط)، 2001.

13. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، (د.ط)، (د.س).

14. محمد خطابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز العربي الثقافي، بيروت، (د.ط)، (د.س).

15. محمّد عزّام، النّص الغائب، تجليات التّناص في الشعر العربي، اتّحاد كتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2001.

16. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، لبنان، (ط8)، 1989.

17. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمي، عمّان، (ط1)، 2009.

II. **المجلات:**

1. طيب الغزالي قواوة، "الانسجام النّصي وأدواته"، مجلة المخبر، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، العدد 08، 2012.

2. بشرى حمدي البستاني، "في مفهوم النّص ومعايير نصّية "القرآن الكريم" دراسة نظرية"، مجلة أبحاث كلية التربية الإسلامية، العدد (01)، 2011.

3. بلحوت شريفة، "مفهوم الاتّساق مايكل هاليداي ورقية حسن"، مجلة الخطاب، العدد (9)، 2011.

4. جميل عبد المجيد حسين، "علم النّص أسسه المعرفية وتجلياته النقدية"، عالم الفكر، العدد (2)، 2003.

5. حمودي السعيد، "الانسجام والاتّساق النّصي، المفهوم والأشكال"، عدد خاص، 2012.

6. صالح عبد العظيم الشاعر، "ظاهرة الاستبدال في النحو العربي، آفاق غير محدودة"، مقالات متعلقة، (د.ع)، 2016.

7. عائشة علي صلاح إبراهيم، "مفاهيم مشابهة لعلم اللغة النّصي عند العرب"، مجلة جامعة سيبها "العلوم الإنسانية"، العدد (02)، 2015.

8. محمد أبو الحسين، "قصيدة البُردة للبوصيري، دراسة أدبية"، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد (24)، 2017.

9. محمد داود محمد، "لسانيات النّص ومعايير الخطاب الصحفي دراسة تطبيقية على الصحافة الإماراتية"، مجلة العلوم الإنسانية، السودان، العدد (1)، 2017.

10. محمد العبد، "حبك النّص منظورات من التراث العربي" بحث منشور في فصول (مجلة)، العدد (59)، 2002.

11. مشري آمال، "الإحالة وأثرها في دلالة النّص وتماسكه "عيون البصائر" نموذجا"، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد 36.

12. نوال بن إبراهيم الحلوة، "أثر التكرار في التماسك النّصي، مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات خالد المنيف"، العدد (8)، 2012.

III. **الرسائل الجامعية:**

1. بن الدين بخولة، الإسهامات النصّية في التراث العربي، أطروحة دكتوراه في علوم اللسانيات النصّية معجميات، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران1، 2016/2015.
2. عبد الخالق فرحان شاهين، أصول المعايير النصية في التراث النقدي البلاغي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة، 2012.
3. عمر بورنان، وظائف علامات الإعراب، أطروحة دكتوراه في علوم اللغة والأدب العربي لغوي، كلية الآداب واللغات، جامعة تيزي وزو، 2014.
4. مونيا بلخيري، الاتّساق المعجمي في معلقة امرئ القيس، علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، 2015/2014.
5. هاشمي بن ساسي، ظاهرة التضام في القرآن الكريم "دراسة لسانية حديثة وبلاغية"، سورة يوسف نوذجا، دراسات لغوية، لسانيات عامة، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، 2017/2016.
6. مفتاح بن عروس، الاتّساق والانسجام في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، لسانيات النّص، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2008.
7. محمود بوستة، الاتّساق والانسجام في سورة الكهف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في لسانيات اللغة العربية، لغوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، باتنة، 2009/2008.
8. رحيم مجيد راضي، الانسجام النّصي في القرآن الكريم "الميزان في تفسير القرآن الكريم للسيد الطباطبي" نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة ذي قار، 2014.

9. يمينة جدرة، الاتّساق النّصي في الخطاب الأدبي "قصة الطائر الذي نسي ريشه للقاص علي الليبي" عينة، مذكرة ماستر في اللسانيات النصّية، كلية الآداب واللغات، ورقلة، 2014.

IV. **المواقع الإلكترونية:**

- www.Startimes.com
- www.Aljabriabed.net

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة..... 01

الفصل الأول: مفاهيم وتعريفات..... 04-31

المبحث الأول: مفهوم الاتّساق ووسائله..... 05

مفهوم الاتّساق..... 05

وسائل الاتّساق..... 07

المبحث الثاني: مفهوم الانسجام ووسائله..... 22

مفهوم الانسجام..... 22

وسائل الانسجام..... 25

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية للاتّساق والانسجام في قصيدة البُردة..... 32-64

المبحث الأول: الاتّساق في قصيدة البُردة..... 33

الإحالة..... 33

الاستبدال..... 44

الحذف..... 45

الوصل..... 48

الاتّساق المعجمي..... 51

المبحث الثاني: الانسجام في قصيدة البُردة..... 55

السياق..... 55

البنية الكلية الكبرى..... 58

التغريض..... 62

خاتمة..... 65

فهرس المصادر والمراجع..... 69

فهرس الموضوعات..... 78

ملحق

ملحق

قصيدة البردة للبوصيري

01 أمِنْ تَـذَكّرِ جيرانٍ بـذي سَـلَمٍ مَزَجْتَ دَمعـا جرى مِن مُقلَةٍ بِدَمِ
02 أم هَبَّتِ الريحُ مِن تلقـاءِ كـاظِمَةٍ وأومَضَ البرقُ في الظلمـاءِ مِن اِضَمِ
03 فـما لِعَينيك إن قُلتَ اكْفُفَا هَمَتَا وما لقلبِكَ إن قلتَ اسـتَفِقْ يَهِـمِ
04 أيحَسـب الصَبُّ أنَّ الحبَّ مُنكِتِمٌ ما بينَ منسَـجِمٍ منه ومُضْطَـرِمِ
05 لولا الهوى لم تُرِقْ دمعـا على طَلَلٍ ولا أرَقْتَ لِـذِكرِ البـانِ والعَلَمِ
06 ولا أعَارَتْكَ لـونَـي عَبْـرَةٍ وضَـنًى ذِكـرَى الخِيَـامِ وذِكـرَى سَاكِنِي الخِيَمِ
07 فكيفَ تُنْكِرُ حبا بعدمـا شَـهِدَت به عليك عُدولُ الدمـعِ والسقَمِ
08 وأثبَتَ الـوَجْدُ خَطي عَبْرَةٍ وضَنَى مثلَ البَهَارِ على خَدَّيك والعَنَمِ
09 نَعَم سرى طيفُ مَن أهوى فـأرقَنِي والحُبُّ يعتَـرِضُ اللذاتِ بالألَمِ
10 يـا لائِمي في الهوى العُذْرِيِّ مَعذرَةً مِنِّي اليك ولو أنْصَفْتَ لم تَلُمِ
11 عَدَتْـكَ حالي لا سِـري بِمُسْتَتِرٍ عن الوُشـاةِ ولا دائي بِمُنحَسِـمِ
12 مَحضْتَنِي النصْحَ لكِنْ لسـتُ أسمَعُهُ إن المُحِب عَنِ العُـذال في صَمَمِ
13 إنِّي اتَّهَمْتُ نصيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِي والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

14 فـإن أمارَتِي بالسـوءِ مـا اتعَظَت مِن جهلِـهَا بنذير الشَّيْبِ والهَـرَمِ
15 ولا أعَـدَّتْ مِنَ الفِعل الجميل قِرَى ضَيفٍ ألَـمَّ برأسـي غيرَ مُحتشِمِ
16 لـو كنتُ أعلمُ أني مـا أُوَقِرُهُ كتمتُ سِرًّا بَـدَا لي منه بالكَتَمِ
17 مَن لي بِرَد جِمَـاح مِن غَوَايتِهَـا كما يُرَدُّ جمَاحُ الخيـل باللُجُمِ
18 فـلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْـرَ شـهوَتِهَا إنَّ الطعـامَ يُقوِّي شـهوةَ النَّهِمِ
19 والنَّفسُ كَالطفل إنْ تُهمِلهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرّضَاع وَإنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِـمِ
20 فاصْرِف هواهـا وحاذِر أن تُوَلِّيَهُ إنَّ الهوى مـا تَـوَلَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

21 وراعِهَـا وهْيَ في الأعمال سـائِمَةٌ وإنْ هِيَ استَحْلَتِ المَرعى فلا تُسِمِ
22 كم حسـنَتْ لـذةً للمرءِ قاتِلَةً مِن حيثُ لم يَدْرِ أنَّ السُّمَّ في الدَسَمِ
23 واخْشَ الدَسَائِسَ مِن جوعٍ ومِن شِبَعٍ فَرُب مخمَصَةٍ شَـر مِنَ التخَمِ
24 واستَفرِغ الدمعَ مِن عينٍ قَدِ امْتَلأتْ مِن المَحَـارِمِ والزَمْ حِميَـةَ النَدَمِ
25 وخالِفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهِمَا وإنْ هما مَحَّضَـاكَ النُّصحَ فاتَّهِمِ

26 ولا تُطِعْ منهما خصمًا ولا حكمًا فأنت تعرفُ كيدَ الخَصمِ والحَكمِ
27 أستغفِر الله مِنْ قولٍ بِلا عَمَلٍ لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لذِي عُقُمِ
28 أمَرتُكَ الخَيْرَ لكِن مَا ائتَمَرتُ بِهِ وَمَا استَقَمتُ كمَا قولِي لَكَ اِسْتَقِمِ
29 وَلا تَزَودتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً وَلَمْ أُصَلِ سِوَى فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

30 ظلمتُ سُنَّةَ مَن أحيا الظلامَ الى أن اشتَكَتْ قدمَاهُ الضر مِن وَرَمِ
31 وشَد مِن سَغَبٍ أحشاءَهُ وطَوَى تحتَ الحجارةِ كشحاً مُتْرَفَ الأدَمِ
32 وراوَدَتْهُ الجبالُ الشُّمُّ مِن ذَهَبٍ عن نفسِه فأراها أيَّمَا شَمَمِ
33 وأكَدَت زُهدَهُ فيها ضرورَتُهُ إن الضرورةَ لا تعدُو على العِصَمِ
34 وَكيفَ تَدْعُو إلى الدّنيَا ضَرُورَةَ مَن لولَاهُ لَمْ تَخْرُجِ الدُّنيَا مِنَ العَدَمِ
35 محمدٌ سيدُ الكونين والثقَلَيْن والفريقين مِن عُربٍ ومِن عَجَمِ
36 نَبيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فلا أحَدٌ أبَرُّ في قَولٍ لا منه ولا نَعَمِ
37 هُو الحبيبُ الذي تُرجَى شفاعَتُهُ لكُلِّ هَوْلٍ مِن الأهوال مُقتَحَمِ
38 دَعَا إلى اللهِ فالمُستَمسِكُون بِهِ مُستَمسِكُونَ بحبلٍ غيرِ مُنفَصِمِ
39 فاقَ النَّبيينَ في خَلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ في عِلمٍ ولا كَرَمِ

40 وكُلُّهُم مِن رسول اللهِ مُلتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ البحر أو رَشفًا مِنَ الدِّيَمِ
41 وواقِفُونَ لَدَيهِ عندَ حَدِّهِمِ مِن نُقطَةِ العلمِ أو مِن شَكْلَةِ الحِكَمِ
42 فَهُوَ الذي تَمَّ معناهُ وصورَتُهُ ثم اصطفاهُ حبيباً بارِيءُ النَسَمِ
43 مُنَزَّهٌ عن شريكٍ في محاسِنِهِ فجَوهَرُ الحُسنِ فيه غيرُ مقسِمِ
44 دَع ما ادَّعَتهُ النصارى في نَبِيِّهِمِ واحكُم بما شئتَ مَدحَاً فيه واحتَكِمِ
45 وانسُبْ إلى ذاتِهِ ما شئتَ مِن شَرَفٍ وانسُب إلى قَدْرِهِ ما شئتَ مِن عِظَمِ
46 فإن فَضلَ رسول اللهِ ليس له حَدٌّ فَيُعرِبَ عنهُ نَاطِقٌ بِفَمِ
47 لو ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُهُ عِظَمًا أحيا اسمُهُ حين يُدعَى دارسَ الرِمَمِ
48 لم يمتَحِنَّا بما تَعيَا العقولُ بِه حِرصَاً علينا فلم نرتَبْ ولم نَهِمِ
49 أعيى الورى فَهْمُ معناهُ فليسَ يُرَى في القُرْبِ والبُعدِ فيه غيرُ مُنفَحِمِ
50 كالشمس تظهَرُ للعينَيْنِ مِن بُعُدٍ صغيرةً وتُكِلُّ الطَّرْفَ مِن أمَمِ
51 وكيفَ يُدرِكُ في الدنيا حقيقَتَهُ قَومٌ نِيَامٌ تَسَلَّوا عنه بالحُلُمِ

52 فمَبْلغُ العِـلمِ فيه أنــه بَشَـرٌ وأنَّــهُ خيرُ خلْق الله كُـلِّهم
53 وكُـل آيٍ أتى الرسْلُ الكِـرَامُ بهَا فـإنما اتصَلتْ مِن نورِهِ بهِـمِ
54 فـإنَّهُ شمسُ فَضْلٍ هُم كـواكِبُهَا يُظهِرْنَ أنـوارَهَا للنــاس في الظلَمِ
55 أكـرِمْ بخَلْق نبيٍّ زانَــهُ خُلُقٌ بالحُسن مشتَمِلٌ بالشْر مُتسِمِ
56 كالزَّهر في تَرَفٍ والبدر في شَـرَفٍ والبحر في كَـرَمٍ والدهر في هِمَمِ
57 كــأنَّهُ وهْوَ فَرْدٌ مِن جلالتِــهِ في عسكَرٍ حينَ تلقاهُ وفي حَشَـمِ
58 كــأنمَا اللؤلُؤُ المَكنُونُ في صَدَفٍ مِن مَعْـدِنَيْ مَنْطِـقٍ منه ومبتَسَمِ

59 لا طيبَ يَعـدِلُ تُرْبَـا ضَمَّ أعظُمَهُ طوبى لمُنتَشِقٍ منــه ومـلتَثِمِ
60 أبــانَ مولِدُهُ عن طِيــبِ عنصُرِهِ يــا طِيبَ مُبتَـدَإٍ منه ومُختَتَمِ
61 يَـومٌ تَفَرَّسَ فيــه الفُرسُ أنَّهُمُ قَـد أُنذِرُوا بِحُلُول البُؤس والنقَمِ
62 وبـاتَ اِيوَانُ كِسـرَى وَهْوَ مُنْصَدِعٌ كشَـمل أصحابِ كِسـرَى غيرَ مُلتَئِمِ
63 والنارُ خـامِدَةُ الأنفاس مِن أسَفٍ عليه والنهرُ سـاهي العَيْن مِن سَدَمِ
64 وساءَ ساوَةَ أنْ غاضَتْ بُحَيرَتُهَـا وَرُدَّ واردُهَـا بـالغَيْظِ حينَ ظَـمِي
65 كـأن بالنّار ما بالماءِ مِن بَلَلٍ حُزْنَـاً وبالماءِ ما بالنار مِن ضَـرَمِ
66 والجنُّ تَهتِفُ والأنــوارُ سـاطِعَةٌ والحـقُّ يظهَـرُ مِن معنىً ومِن كَـلِمِ
67 عَمُوا وصَموا فـاِعلانُ البشـائِر لم تُسمَعْ وبــارِقَةُ الاِنذار لم تُشَمِ
68 مِن بعدِ ما أخبَرَ الأقوامَ كــاهِنُهُم بــأنَّ دينَـهُـمُ المُعـوَجَّ لم يَقُـمِ
69 وبعد ما عاينُوا في الأفق مِن شُـهُبٍ مُقَضةٍ وَفقَ ما في الأرض مِن صَنَمِ
70 حتى غَـدا عن طـريق الوَحي مُنهَزِمٌ مِن الشياطين يقفُو اِثْـرَ مُنهَـزِمِ
71 كــأنَّهُم هَرَبَـا أبطـالُ أبْرَهَـةٍ أو عَسكرٌ بالحَصَى مِن راحَتَيْـهِ رُمِي
72 نَبْذَا به بَعـدَ تسبيحٍ بِبَـطنِهِمَـا نَبْذَ المُسَبح مِن أحشـاءِ ملتَقِمِ

73 جاءت لِـدَعوَتِهِ الأشجارُ ساجِدَةً تمشِـي اِليه على سـاقٍ بــلا قَدَمِ
74 كــأنمَا سَطَرَتْ سطرا لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَـا مِن بـديع الخَطِّ في اللقَمِ
75 مثلَ الغمـامَةِ أنى سـارَ سـائِرَةً تَقِيـهِ حَرَّ وَطِيسٍ للهَجـيرِ حَمِي
76 أقسمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقّ أنّ لهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَة القَسَمِ
77 وما حوى الغــارُ مِن خيرٍ ومِن كَرَمٍ وكُـل طَرْفٍ مِنَ الكفار عنه عَمِي

78 فالصدقُ في الغـارِ والصدِّيقُ لم يَرِمَـا وهُم يقولون مـا بالغـارِ مِن أَرِمِ
79 ظنوا الحمـامَةَ وظنوا العنكبوتَ على خـيرِ البَرِّيَّـةِ لم تَنسُجْ ولم تَحُمِ
80 وقَـايَةُ اللهِ أغنَتْ عَن مُضَـاعَفَةٍ مِنَ الدرُوعِ وعن عـالٍ مِنَ الأُطُمِ
81 ما ضـامَنِي الدَّهرُ يومًا واستَجَرتُ بِهِ إلا ونِـلتُ جِوَارَاً منه لم يُضَمِ
82 ولا التَمسـتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِن يَـدِهِ إلا استَلَمتُ النَّدَى مِن خيرِ مُستَلِمِ
83 لا تُنكِـرِ الوَحْيَ مِن رُؤيَـاهُ إنَّ لَهُ قَلْبَاً إذا نـامَتِ العينـانِ لم يَنَمِ
84 وذاكَ حينَ بُلُـوغٍ مِن نُبُوَّتِـهِ فليسَ يُنكَرُ فيهِ حالُ مُحتَلِمِ
85 تبـارَكَ اللهُ مـا وَحيٌ بِمُكتَسَبٍ ولا نـبيٌّ على غيـبٍ بمُتَّهَمِ
86 كم أبرَأَتْ وَصِبَاً باللمسِ راحَتُهُ وأطلَقَتْ أربَـاً مِن ربـقَةِ اللمَمِ
87 وأحْيت السَـنَةَ الشَّـهباءَ دَعوَتُهُ حتى حَكَتْ غُرةً في الأعصُرِ الدُّهُمِ
88 بعارضٍ جادَ أو خِلْتَ البِطَاحَ بهـا سَيْبٌ مِنَ اليمِّ أو سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

89 دَعنِي وَوَصفِيَ آيـاتٍ له ظهَرَتْ ظهُورَ نـارِ القِرَى ليـلا على عَـلَمِ
90 فالـدُّرُ يزدادُ حُسناً وَهْوَ مُنتَظِمٌ وليس يَـنقُصُ قَـدرَاً غيرَ مُنتَظِمِ
91 فمَـا تَطـاوُلُ آمـال المدِيح إلى مـا فيـه مِن كَرَمِ الأخلاق والشِّيَمِ
92 آيـاتُ حَقٍّ مِنَ الرحمنِ مُحدَثَـةٌ قـديمَةٌ صِفَةُ الموصـوفِ بالقِدَمِ
93 لم تَقتَرِن بزمـانٍ وَهْيَ تُخبِرُنـا عَنِ المَعَـادِ وعَن عـادٍ وعَن إرَمِ
94 دامَتْ لدينـا ففاقَتْ كُـلَّ مُعجِزَةٍ مِنَ النَّبيينَ إذ جـاءَتْ ولم تَدُمِ
95 مُحكَمَاتٌ فمـا تُبقِينَ مِن شُبَهٍ لـذي شِـقَاقٍ وما تَبغِينَ مِن حِكَمِ

96 ما حُوربَت قَط إلا عـادَ مِن حَرَبٍ أعدَى الأعـادِي إليها مُلقِيَ السلَمِ
97 رَدَّتْ بلاغَتُهَـا دَعوى مُعارِضِهَا رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجـانِي عَن الحُرَمِ
98 لها مَعَـانٍ كَموْجِ البحرِ في مَدَدٍ وفَـوقَ جَوهَرِهِ في الحُسنِ والقِيَمِ
99 فَمَا تُعَد ولا تُحصَى عجائِبُهَا ولا تُسَـامُ على الإكثـارِ بالسأَمِ
100 قَرَّتْ بَهـا عينُ قاريها فقُلتُ لـه لقد ظَفِـرتَ بحَبْلِ الله فاعتَصِمِ
101 إنْ تَتلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظى أطفَأتْ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ
102 كـأنَّها الحوضُ تَبيَضُّ الوُجُوهُ بِـهِ مِنَ العُصَاةِ وقَـد جاؤُوهُ كالحُمَمِ

103 وكالصِّراطِ وكالميزان مَعدَلَةً فالقِسطُ مِن غيرِهَا في النـاسِ لم يَقُمِ
104 لا تَعجَبَنْ لِمَسُودٍ راحَ يُنكِرُهَـا تجاهُلا وَهْوَ عينُ الحـاذِقِ الفَهِمِ
105 قد تُنكِرُ العينُ ضَوْءَ الشمسِ مِن رَمَدٍ ويُنكِرُ الفَمَ طعمَ المـاءِ مِن سَـقَمِ

106 يـا خيرَ مَن يَمَّمَ العـافُونَ ساحَتَهُ سعيَـا وفَوقَ مُتُونِ الأيْنُقِ الرسُمِ
107 ومَن هُـوَ الآيـةُ الكُبرَى لمُعتَبِـرٍ ومَن هُـوَ النِّعمَـةُ العُظمَى لِمُغتَنِمِ
108 سَرَيتَ مِن حَـرَمٍ ليـلا إلى حَرَمٍ كما سَرَى البَدرُ في داجٍ مِنَ الظلَمِ
109 وبِت ترقى إلى أن نِلتَ مَنزلَـةً مِن قابَ قوسَيْنِ لم تُدرَكْ ولم تُـرَمِ
110 وقَدَّمَتْكَ جميعُ الأنبيـاءِ بهـا والرُّسْل تقديمَ مخدومٍ على خَدَمِ
111 وأنتَ تَخترقُ السـبعَ الطِّبَاقَ بهم في مَوكِبٍ كُنتَ فيـه صاحِبَ العَلَمِ
112 حتى إذا لم تَدَعْ شَـأْوًا لمُسـتَبِقٍ مِنَ الـدُنو ولا مَرقًى لمُسـتَنِمِ
113 خَفَضْتَ كُـل مَقَامٍ بالإضافة إذ نُودِيتَ بالـرَّفعِ مثلَ المُفرَدِ العَـلَمِ
114 كيما تَفُوزَ بوَصْـلٍ أي مُسـتَتِرٍ عَن العُيـون وسِـرٍّ أيِّ مُكتَتِمِ

115 فَحُزتَ كُـلَّ فَخَارٍ غيرَ مُشتَرَكٍ وجُزْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ غيرَ مُزدَحَمِ
116 وجَـلَّ مِقدَارُ مـا وُلّيتَ مِن رُتَـبٍ وعَزَّ إدراك مـا أُولِيتَ مِن نِعَـمِ
117 بُشرَى لنا مَعشَرَ الإسلام إن لنا مِنَ العِنَايَـةِ رُكنَـاً غيرَ منهَـدِمِ
118 لمَّـا دَعَى اللهُ داعينـا لطـاعَتِهِ بأكرمِ الرسْل كُنا أكـرَمَ الأُمَمِ

119 راعَتْ قلوبَ العِدَا أنبـاءُ بعثَتِهِ كَنبـأةٍ أجْفَلَتْ غُفْـلا مِنَ الغَنَمِ
120 مـا زالَ يلقـاهُمُ في كُـلِّ مُعتَرَكٍ حتى حَكَوْا بالقَنَا لَحمًا على وَضَمِ
121 وَدُّوا الفِرَارَ فكـادُوا يَغبِطُونَ بـه أشـلاءَ شـالَتْ مَعَ العُقبَـانِ والرخَمِ
122 تَمضِي الليـالي ولا يَدرُونَ عِدَّتَهَا ما لم تَكُن مِن ليـالِي الأشهُرِ الحُـرُمِ
123 كـأنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سـاحَتَهُم بكُـل قَرْمٍ إلى لَحمِ العِـدَا قَـرِمِ
124 يَجُـرُّ بحـرَ خميسٍ فَوقَ سـابِحَةٍ يـرمي بمَوجٍ من الأبطـال ملتَطِمِ
125 مِن كُـل منتَدِبٍ لله مُحتَسِبٍ يَسطُو بمُستَأصِلٍ للكُفرِ مُصطَلِمِ
126 حتى غَدَتْ مِلَّةُ الإسلام وَهْيَ بهم مِن بَعـدِ غُربَتِهَا موصولَةً الرحِمِ
127 مَكفولَةً أبـدًا منهم بِخَيرِ أبٍ وخيرِ بَعلٍ فـلم تَيْتَـمْ ولم تَئِمِ

128 هُمُ الجبـالُ فَسَـلْ عنهُم مُصَادِمَهُم مـاذا لَقِي منهم في كُـلِّ **مُصطَدَمِ**
129 **وَسَلْ حُنَيْنَاً** وَسَلْ بَدْرَاً وَسَلْ **أُحُدَا** فُصـولُ حَتْفٍ لهم أدهى مِنَ **الوَخَمِ**
130 المُصدِرِي البِيضِ حُمرَاً بعد ما **وَرَدَتْ** **مِنَ العِـدَا كُل مُسْوَد مِن اللمَمِ**
131 والكاتِبِينَ بِسُـمرِ الخَطِّ ما **تَرَكَتْ** أقـلامهُمْ حَرْفَ جسمٍ غيرَ **مُنعَجِمِ**
132 شـاكِي السـلاحِ لهم سِيمَى تُمَيِّزُهُم والوَرْدُ يمتـازُ بالسِّيمَى عَنِ **السلَمِ**

133 تُهدِي إليك رياحَ **النصرِ نَشْرُهُمُ** **فتَحسِبُ** الزَّهرَ في الأكمامِ كُلَّ **كمِي**
134 كـأنَّهُم في ظُهورِ الخَيْلِ نَبْتُ **رُبَاً** **مِن شَدةِ الحَزْمِ لا مِن شدةِ الحُزُمِ**
135 طارَتْ قلوبُ العِدَا مِن بأسِـهم **فَرَقَاً** فمـا تُـفَرِّقُ بين البَهْمِ والبُهَمِ
136 **ومَن تَكُن برسـولِ اللهِ** نُصرَتُـهُ اِن تَلْقَهُ الأُسْدُ في آجـامِهَا **تَجِمِ**
137 ولَن تَـرى مِن وَلِيٍّ غيرَ **منتَصِـرٍ** بـهِ ولا مِن عَـدُوٍّ غيرَ **مُنعَجِمِ**
138 أحَـلَّ أُمَّتَـهُ في حِـرْزِ مِلَّتِـهِ كالليْثِ حَلَّ مَعَ الأشبال فِي **أَجَمِ**
139 **كم جَدلَتْ كلِمَاتُ الله مِن جَدَلٍ** فيه وكم خَصَمَ البُرهانُ مِن **خَصِمِ**
140 **كفـاكَ بالعلمِ في الأُمي مُعجِزَةً** في الجاهليةِ والتـأديبَ في اليُتُمِ

141 خدَمْتُهُ بمديـحٍ أستَقِيل بـهِ **ذُنوبَ عُمْرٍ مَضَى في الشعرِ والخِدَمِ**
142 **إذ قَـلَدَانِيَ ما تُخشَى** عـواقِبُـهُ كـأنني بهـمَا هَدْيٌ مِنَ **النعَمِ**
143 أطعتُ غَيَّ الصِّبَا في الحالتَيْنِ **ومـا حَصَلتُ إلا على الآثامِ والندَمِ**
144 فيـا خَسَـارَةَ نَفْسٍ في تِجَارَتِهَا لم تَشتَرِ الدِّينَ بـالدنيا ولم **تَسُمِ**
145 ومَن يَبِـعْ آجِلا منه **بعاجِلِـهِ** بِينَ لـه الغَبْنُ في بَيْعٍ وفي **سَلَمِ**
146 إنْ آتِ ذَنْبَـاً فمـا عَهدِي **بمُنتَقِضٍ** **مِنَ النبِي ولا حَبلِي بمُنصَـرِمِ**
147 فـإنَّ لي ذِمَّةً منـه بتَسـمِيَتِي مُحمَّدَاً وهُوَ أوفَى الخلقِ **بـالذمَمِ**
148 إنْ لم يكُن في مَعَـادِي آخِذَاً بِيَدِي فَضْلا وإلا فَقُـلْ يـا زَلَّةَ **القَدَمِ**
149 حاشـاهُ أنْ يَحْرِمَ الرَّاجي مَكَارِمَهُ أو يَرجِعَ الجـارُ منه غيرَ **مُحتَرَمِ**
150 **ومُنذُ أَلزَمْتُ أفكـاري** مَدَائِحَهُ وجَدْتُـهُ لخَلاصِي خـيرَ **مُلتَزمِ**
151 ولَن يَفُوتَ الغِنَى منه يَـدَاً **تَرِبَتْ** إنَّ الحَيَـا يُنْبِتُ الأزهارَ في **الأكمِ**
152 ولَم أُرِدْ زَهرَةَ الدنيـا التي **اقتَطَفَتْ** يَـدَا زُهَيْرٍ بمـا أثنَى على هَرِمِ

153 يـا أكرَمَ الخلقِ ما لي مَن ألوذُ به سِـوَاكَ عِندَ حُلولِ الحادِثِ العَمِمِ

154 ولَن يَضِيقَ رسولَ اللهِ جاهُكَ بي إذا الكريمُ تَجَلَّى بـاسمِ مُنتَقِمِ

155 فإنَّ من جُودِكَ الدّنيَا وضَرَّتَهَا وِمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللّوحِ والقَلَمِ

156 يا نَفْسُ لا تَقنَطِي مِن زَلَّةٍ عَظُمَتْ إن الكَبَائِرَ في الغُفرَانِ كاللَمَمِ

157 لعَلَّ رَحمَةَ رَبِّي حينَ يَقسِـمُهَا تَأتِي على حَسَبِ العِصيَانِ في القِسَمِ

158 يا رَبِّ واجعَلْ رجائِي غيرَ مُنعَكِسٍ لَدَيْكَ واجعلْ حِسَابِي غيرَ مُنخَرِمِ

159 والطُفْ بعَبدِكَ في الدَّارَينِ اِنَّ لَـهُ صَبرَاً مَتَى تَـدعُهُ الأهـوالُ ينهَزِمِ

160 وائذَنْ لِسُحْبِ صلاةٍ منك دائِمَةٍ على النبيِّ بِمُنْهَـلٍّ ومُنسَجِمِ

161 ما رَنَّحَت عذبـاتِ البَـانِ رِيـحُ صَبًا وأطـرَبَ العِيـسَ حَـادِي العِيـسِ بالنَّغَـمِ